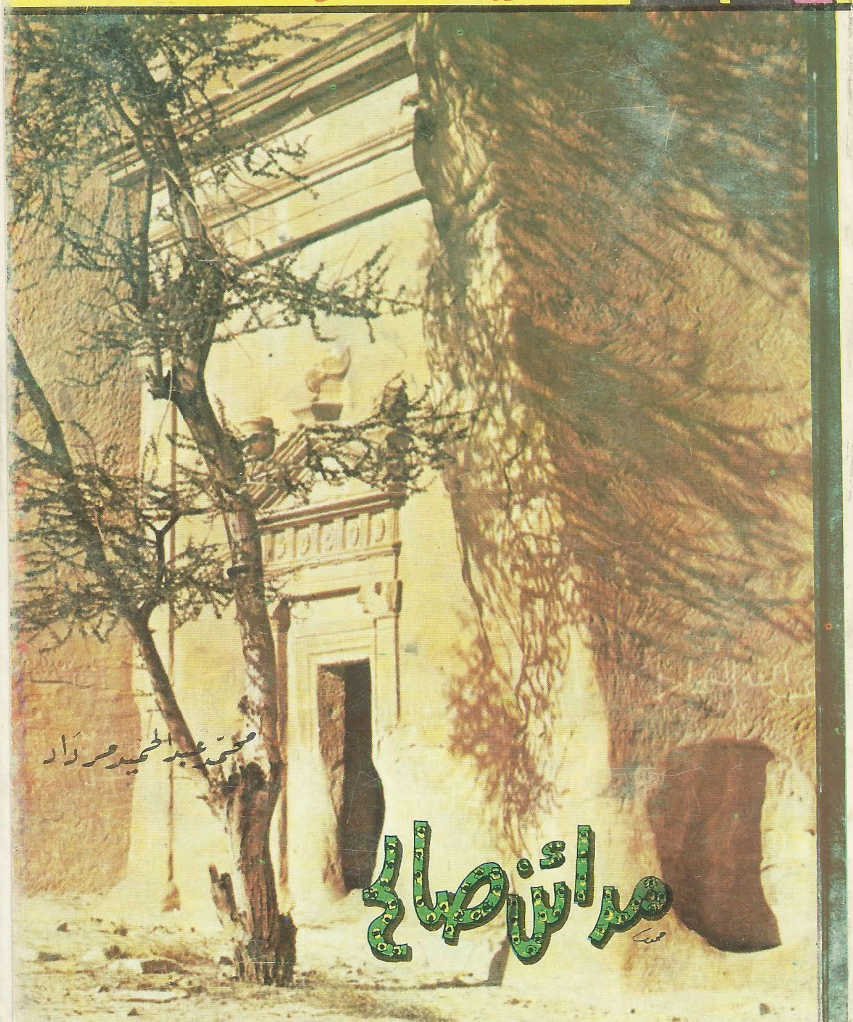
٢٩

المكتبة الصغيرة



محمد عبد الحميد مرداد

مدائن صالح

المكتبة الصغيرة

٢٩

مدائن صالح

تلك الأعجوبة

محمد عبد الحميد مرداد

الطبعة الثانية منقحة ومزيدة

شـــعبان ١٣٩٩ هـ

يوليـــه ١٩٧٩ م

[العناوين للخطاط السعودي محمد كليب الحارثي]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذى جعل الأرض مهاداً ، والجبال أوتاداً ، وألهم سكان الأرض اتخاذ المساكن لتكون عبرة ، ونحت الجبال لتكون آثاراً باقية ، وخلق الموت والحياة ليبلو عباده أيهم أحسن عملا ، ليجزى الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ، والذين أساءوا بالعقاب والنكال . وأشهد أن لا اله الا الله الذى خلق الانسان وعلمه البيان ، وجعل له عينين لينظر ويتعظ ، ورجلين ليسير في الأرض فينظر كيف كان عاقبة الذين من قبل ، كم كانوا أكثر منه وأشد قوة وآثاراً في الأرض .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ، فأوضح الطريق وهدى الأمة الى الصراط المستقيم وجاهد في الله حق جهاده ، فسار فى الأرض مجاهداً مع صحبه الأبرار ، ومرّ على ديار ثمود ، فأمر جيشه بالاسراع وخوفه من دخول مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا للعظة والاعتبار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الأبرار .

وبعـد ؛

فهـذا كتاب يحتوى على تاريخ قـوم صالح عليـه السلام ومدائنهم ، وما فيها من جبـال ، وعيون ، وآبار ، وهضاب ،

وصحارى ، وزروع ، وآثار ، وما نزل فيهم من قرآن ، وما ورد من حديث وآثار وأخبار ، وما قيل فيهم من أمثال وأشعار .

لقد سرت في بلادهم مطبقاً قوله تعالى : (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) فنظرت الى ديارهم وآثارهم كيف بقيت عبرة لغيرهم وعقوبة لهم ، لعدم طاعتهم أوامر الرب سبحانه وتعالى ، ولارتكابهم زواجره ، وعدم انتهائهم عما نهوا عنه ، فمكروا ومكر الله ، والله خير الماكرين .

ولقد رسمت فى كتيبى هذا ما قدرت عليه من المشاهد ، وحددت أسماء البقاع والقرى والسهول والآبار المطمورة ، والعيون الفائرة ، والجبال المنحوتة ، على قدر استطاعتى ودرايتى ، وسماعى من البدو المجاورين لهذه المدائن ، والمرتادين لها فى أسفارهم ورحلاتهم .. ولم أعتمد على ما فى الكتب القديمة من مبالغات سقيمة ، وخرافات سخيفة .. كما قال بعض المفسرين ناقلا عن بعض الاسرائيليات : ان مدائن صالح تزيد عن ألف مدينة خلاف القرى ، فان مثل هذه الأخبار بعيدة عن الصحة .

وفيما أعلم فانه لم ينفرد مؤلف بتأليف كتاب خاص عن هذه المدائن من العرب ، لذلك أرجو أن يكون هذا المؤلف الصغير ، قد قام بقسط من البحث والتنقيب ، والتحقيق ، ليكون دليلا ومرشداً .. فان وجد فيه خطأ ، فهو اما من الرواة، أو من نقلت عنهم من المؤلفين .

ولا أزعم اننى كتبت كل شىء عن مدائن صالح ، ولا أنى

وقفت على كل ما فيها من الآثار ، انما كتبت ما شاهدت ووقفت عليه في المدة التى لم تتجاوز ثلاثة أشهر في رحلتى لهذه المدائن ، شهرا للحجر ، وشهرين لمجموع مدائن صالح ، وذلك بحسب ظروفي ، وقد كنت نشرت معظم فصول هذا الكتاب ، في الصحف والمجلات السعودية ، فأشار علي الكثير من الأصدقاء أن أجمع شتات ما نشرت فى كتاب ليكون فاتحة للطريق .. فلبيت الطلب وتوكلت على الواحد الأحد ، وعسى أن أكون بذلك قد فتحت الطريق لمن يريد التوسع فى هذا الميدان الفسيح، فيزيد ما نقص ، ويقوّم ما اعوج ..

والذين كتبوا عن البلاد العربية ، وتجولوا فيها ، وأناروا معالم الطريق لغيرهم ، جزاهم الله عن احياء التراث خير الجزاء ، وهؤلاء الاخوان الذين وقفت على كتابتهم والذين أذكرهم وأشكرهم ، هم الأخوة : الأستاذ حمد الجاسر ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، والأستاذ محمد أحمد العقيلى ، والأستاذ ابن بليهد ، والأستاذ شكيب أرسلان فى الارتسامات اللطاف ، والأستاذ أمين الريحانى ، والأستاذ فؤاد حمزة ، والمستر فلبى ، والتميمى ، والرفيع ، وفردريك .. وغيرهم من الكتاب والمؤلفين والمحققين ــ الذين يستحقون الشكر والتقدير والاعجاب ، وهؤلاء هم خير من تجول ، وأنار الطريق فى البلاد العربية ، وأرخ وكتب .

والآن .. ونحن فى سنة ١٣٩٩ ، حينما أعدت النظر فيما كتبت ، لأقدم الكتاب الى القراء ، فى طبعته الجديدة هذه ، أتيح لى أن أطلع على مصادر ومراجع ، لم أطلع عليها من قبل ، لمؤلفين

عرب ومستشرقين ، فكان أن أضفت بعض الزيادات ، وأجريت بعض التعديلات والتنقيحات ، وحذفت بعض ما رأيت حذفه ، مما لا يدخل فى صلب الكتاب ، ولا يمس مشاهداتى الشخصية ، فعلت ذلك قدر استطاعتى ، وبقدر ما سمحت به ظروفى الصحية، وهي ليست على ما يرام ، فانى أسأل الله أن أكون قد وفقت فى كل ذلك ، وأن يكون فيما صنعت ما يتفق مع الحقيقة ، ويرضى طلاب البحث .

ولا يفوتنى أن أذكر أن هنــاك نفراً من المحبين والأصدقاء المخلصين تضافرت جهودهم لاخراج هذا الكتاب على النحو الذى خرج به ، من واجبى أن أشكرهم ، وكان بودى أن أذكر أسماءهم لولا اصرارهم على أن لا أفعل ، امعاناً في الفضــل . فجزاهم الله عنى خير الجزاء وما توفيقي الا بالله ؟

محمد عبد الحميد مرداد

عناصر البحث

١ ـ تمهيد عن ثمود

٢ ـ دولة ثمود

٣ ـ معجم المدائن

٤ ـ المعالم والآثار

٥ ـ الرحلة

٦ ـ خلاصة التحقيق

تمهيد عن ثمود

في القرآن الكريم

١ ــ فى سورة الأعراف ــ الآية ٧٢ الى الآية ٧٩ قال جل شأنه : (والى ثمود أخاهم صالحاً قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ، واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين . قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون . قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا : يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ، فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين ، فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

٢ ــ في سورة (التوبة) ــ الآية ٦٩ (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ..) الآية .

٣ ــ فى سورة (هود) الآية ٦٠ الى الآية ٦٨ (والى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب ، قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وانا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ، قال : ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى منه

رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير . وياقوم هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل فى أرض الله ، ولا تمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال : تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب . فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ، ومن خزي يومئذ ، ان ربك هو القوى العزيز . وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين . كأن لم يغنوا فيها ، ألا ان ثمود كفروا ربهم ، ألا بعداً لثمود) .

٤ ـ فى سورة (الحجر) ـ الآية ٧٩ ـ الى الآية ٨٤ : (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين . وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين . وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين ، فأخذتهم الصيحة مصبحين ، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) .

٥ ـ فى سورة (الاسراء) ـ الآية ٥٨ : (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون . وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفاً) .

٦ ـ فى سورة (الحج) ـ الآية ٤١ : (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود) .

٧ ـ فى سورة (الفرقان) الآية ٣٧ و ٣٨ : (وعاداً وثمود وأصحاب الرس ، وقروناً بين ذلك كثيراً . وكلا ضربنا له الأمثال ، وكلا تبرنا تتبيرا) .

٨ ـ فى سورة (الشعراء) ـ الآية ١٤٠ ـ ١٥٩ : (كذبت ثمود المرسلين . اذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . انى لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون . وما أسألكم عليه من أجر ان

اجرى الا على رب العالمين . أتتركون فيما هاهنا آمنين . فى جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا انما أنت من المسحرين . ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين. قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم . ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم . فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ان فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . ان ربك لهو العزيز الرحيم) .

٩ ـ فى سورة (النمل) ـ الآية ٤٤ الى الآية ٥٣ : (ولقد ارسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فاذا هم فريقان يختصمون . قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون . قالوا اطيرنا بك وبمن معك . قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

١٠ ـ فى سورة (العنكبوت) ـ الآية ٣٧ : (وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) .

١١ ـ فى سورة (فصلت) ـ الآية ١٦ ـ ١٧ : (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ، ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون).

١٢ ـ فى سورة (الذاريات) ـ الآية ٤٢ ـ ٤٥ : (وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين) .

١٣ ـ فى سورة (النجم) ـ الآية ٥٠ : (وثمود فما ابقى) .

١٤ ـ في سورة (القمر) ـ الآية ٢٢ ـ ٣١ : (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه انا اذاً لفى ضلال وسعر . أءُلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابى ونذر . انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر) .

١٥ ـ فى سورة (الحاقة) ـ الآية ٣ ـ ٤ : (كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) .

١٦ ـ فى سورة (البروج) ـ الآية ١٦ ـ ١٧ : (هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود) .

١٧ ـ فى سورة (الشمس) ـ الآية ١٠ ـ ١٥ : (كذبت ثمود بطغواها . اذ انبعث أشقاها . فقال لهم رسول الله : ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها . فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها) .

في كتب التراث العربي

أ ـ في التفسير والحديث

ننقل هنا ما روي عن بعض المفسرين ، كالآلوسى والعيني ، وابن جرير ، والبغوي ، وابن كثير وغيرهم :

ورد عن محمد بن اسحق ووهب وغيرهما من الرواة أن عاداً لما هلكت وانقضى أمرها ، عمرت بعدها ثمود ، واستخلفوا فى الأرض ، فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل أحدهم يبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً ، وكانوا فى سعة من معاشهم ، فعثوا وأفسدوا فى الأرض ، وعبدوا غير الله ، فبعث الله اليهم صالحاً عليه السلام ، وكانوا قوماً عربا ، وكان صالح عليه السلام من أوسطهم نسبا ، وأفضلهم حسباً وموضعاً ، فبعثه الله اليهم غلاماً شابا ، فدعاهم الى عباد الله حتى شمط وكبر ، لا يتبعه منهم الا القليل المستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتبليغ ، وأكثر لهم التحذير والتخويف سألوه أن يريهم آية تكون مصداقاً لما يقول ، فقال لهم : أي آية تريدون ؟. قالوا : تخرج معنا الى عيدنا . وكان لهم عيد يخرجون فيه بأصنامهم فى يوم معلوم من السنة ، فخرج معهم ، فقالوا : تدعو الهك وندعو آلهتنا ، فان استجيب لك اتبعناك ، وان استجيب لنا اتبعتنا . فقال لهم صالح : نعم . فخرجوا الى عيدهم ، وخرج معهم صالح فدعوا أوثانهم ، وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شيء مما يدعو به . ثم قال جندع بن عمرو بن حراش . وهو يومئذ سيد ثمود : ياصالح اخرج لنا من هذه الصخرة ، وكانت صخرة منفردة فى

ناحية الحجر اسمها (الناجبة) (الناجبة قرية تتوسط الحجر)
ـ أخرج لنا ناقة مخترجة (المخترجة ما شاكلت البخت من الابل)
جوفاء وبراء عشراء ، فان فعلت صدقناك وآمنـا بك . فأخـذ
عليهم صالح العهـود والمواثيق ، ثم سجد لله ودعاه ، وتضرع
اليه سبحانه وتعالى فاستجاب الله دعاءه ، وتمخضت الصخرة ،
تمخض النتوج بولدها ، ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة
عشراء جوفاء وبراء ، كما وصفوا وطلبوا لا يعلم ما بين جنبيها
عظما الا الله ، وهم ينظرون ، ثم نتجت سقبا مثلها في العظم ،
فآمن به جندع بن عمرو ، ورهط من قومه . ولما أراد أشراف
ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوه نهاهم ذؤاب بن عمرو ، والحبـاب
صـاحب أوثانهم ، ورباب بن صمعر ، وهو كاهنهـم ، وهؤلاء
الثلاثة من أشراف ثمود ، فلما خرجت الناقة ، قال لهم صالح
عليه السلام : هذه ناقة الله لكم آية .. الآيات . فمكثت الناقة ،
ومعها سقبها فى أرض ثمود ، ترعى الشجر وتشرب الماء ، فكانت
ترد غبا (أي يوماً بعد يوم) ، فاذا كان يومها وضعت رأسها فى
بئر الحجر ، يدعى بئر الناقة ، فما ترفع رأسها حتى تشرب الماء
كله ، فلا تدع قطرة واحدة فى البئر ، ثم ترفع رأسها حتى تفجج
(أي تفـرج ما بين رجليها) لهم فيحلبون ما شـاءوا من لبن
فيشربون ويدخرون حتى يملؤوا أوانيهم كلها ، ثم تصدر من غير
الفج الذى وردت منه لأنها لا تقدر أن تصدر من حيث ترد ،
حتى اذا كان يومهم من الشرب يشربون ما شـاءوا ويدخـرون
ما شاءوا ليوم الناقة فعاشوا في سعة ودعة ، وكانت الناقة تصيف
اذا كان الحـر بظهـر الوادى فتهـرب منهـا المـواشى ،
فتهبط الى بطـن الـوادى فى حـره وجـدبه فـكانت

تنفر منهـا الماشـية اذا رأتها ، وتشتو ببطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار ، فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فأجمعوا على عقرها ، وكانت امرأتان من ثمود احداهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بأم غنم ، وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزاً مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم ، وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا ، وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة ، فكانت هذه وعنيزة من أشد الناس عـداوة لصالح عليه السلام فأصرتا على عقر الناقة لما أضرت بهما ولمـا لحق مواشيهما من ذعر ونفور وتشريد ، فتحيلتا فى عقر الناقة فدعت (صدوف) رجلا من ثمود يقال له الحباب أمرته بعقـر الناقة وعرضت نفسها عليه ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيـا وجعلت له نفسـها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وجهاً وأكثرهم مالا فأجابها الى ذلك ، ودعت عنيزة بنت غنم (قدار بن سالف) وكان رجلا أحمـر أزرق قصـيراً ولم يكن (سالف) أباه ، اذ لا يعرف له أب وانما ولد على فراشه ، فقالت أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة وكان قدار عزيزاً منيعاً فى قومه فانطلق هو ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفـر فصاروا تسعة ، ثم انطلق قدار ومصدع وأصحابهما فرصـدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار بن سالف فى أصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع فى طريق آخـر فمرت على مصدع فرماها بسهم فلم يفعل فيها شيئاً ، وخرجت أم غـنم

(عنيزة) ، وأمرت ابنتها وكانت جميلة ومن أحسن الناس وجهاً فأسفرت لقدار ثم ذمرته ووعدته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها (أي أظهره وفصله) فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ، ثم ان قدار بن سالف لما كشف عرقوبها طعنها فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلد واقتسموا لحمها وطبخوه ، فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا يقال له (صنو) ويقال له (قارة) وتسنمه ، فلما سمع صالح عليه السلام بعقر الناقة ، وجاءه قومه المؤمنون يصيحون : أدرك يا صالح ، ناقة الله فقد عقرت فأقبل ، وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه بقولهم : يانبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى لا تناله الطير ، وجاء صالح فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم رغا ثلاثاً وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل رغوة أجل يوم .
(فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) . قال ابن كثير والبغوى رحمهما الله عن ابن اسحاق قال اتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين اشتركوا فى عقر الناقة وفيهم مصدع ابن مهرج وأخوه ذؤاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فأنزله فألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزءون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك ؟ وكانوا يسمون الأيام بـ (الأول) ليوم الأحد و (أهون) للاثنين و (دبار) للثلاثاء و (خبار) للأربعاء و (مؤنس) للخميس و (العروبة) للجمعة

و (شيار) للسبت وكان عقرهم للناقة يوم الأربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون غداة يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون غداة يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم (أول) فلما قال لهم ذلك قال تسعة رهط منهم هلموا فلنقتل صالحاً كما ورد فى سورة النمل ، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فوجدوه يصلى فى مسجده ، فأقبلوا نحوه فأرسل الله الملائكة فدمغتهم بالحجارة فهلكوا عن آخرهم ، ولما أبطؤوا على أصحابهم أتوا مسجد صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ، ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبداً فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقاً لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضباً ، وان كان كاذباً فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ، فعند ذلك أيقنوا بالعذاب ، وعرفوا أن صالحاً قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه ، فخرج هارباً منهم حتى جاء الى بطن من ثمود يقال لهم (بنو غنم) فنزل على سيدهم وهو (نقيل) ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم ولم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه ، فقال رجل من أصحاب صالح يقال له (مبدع بن هرم) : يانبي الله انهم ليعذبوننا لنهديهم عليك أفندلهم ؟ قال نعم فدلهم عليه ، وأتوا أبا هدب فكلموه فى ذلك فقال : نعم عندى صالح وليس لكم عليه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله بهم من عذابه وسخطه ، فجعل بعضهم يخبر بعضاً بما يرون فى وجوههم

فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الأجل فلما أصبحوا فى اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وبكوا فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا فى اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا بأجمعهم ألا قد حضركم العذاب ، فلما كانت ليلة الأحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم ، ومن أسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وقيل رحل الى حضرموت ومن معه من المؤمنين وكانوا نحواً من أربعة آلاف ، فلما أصبح القوم تحنطوا وتكفنوا وألقوا أنفسهم بالأرض يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الأرض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من اليوم الرابع وهو يوم الأحد ، أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت فى الأرض فقطعت قلوبهم فى صدورهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك ، الا جارية مقعدة يقال لها (ذريعمة) فخرجت حتى أتت (قرح) وهو وادى القرى يفصل ما بين الحجاز والشام ، فأخبرتهم بما عاينته من العذاب وما أصاب ثمود . وذكر السدي فى عقر الناقة ، ان الله جل ثناؤه أوحى الى صالح عليه السلام أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا : ما كنا نفعل فقال صالح : انه يولد فى شهركم هذا غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه . فقالوا لا يولد لنا ولد فى هذا الشهر الا قتلناه ، قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ، ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك ، وكان هذا المولود أزرق أحمر فنبت نباتاً سريعاً ، وكان اذا مر بالتسعة قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا

مثل هذا ، فغضب التسعة على صالح لأنه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله الخ الآيات . ثم قالوا نخرج من البلد ليرى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فنأتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ، ثم انصرفنا الى رحلنا فقلنا ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون أنا قد خرجنا الى سفر ، وكان صالح لا ينام معهم فى الحجر ، بل كان يبيت فى مسجد بعيد عن البلد يقال له (مسجد صالح) ، فاذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم واذا أمسى خرج الى مسجده للعبادة والتهجد فبات فيه، فانطلقوا فدخلوا الغار ونفذوا خطتهم ولكن الله عصم نبيه وحفظه فسلط عليهم الملائكة كما تقدم الخ .

وقال السدي أيضاً وغيره من الرواة : لما ولد ابن العاشر يعنى (قدار) شب فى اليوم شباب غيره فى الجمعة ، وفى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجونه به وصادف ذلك اليوم بيوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم ، وقالوا ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء الذى تشربه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيراً لنا ، فقال ابن العاشر هل لكم فى أن أعقرها لكم قالوا نعم الخ القصة .

وقال قتادة ومجاهد فى اخبار الله تعالى عن قوم ثمود لنبيهم صالح عليه السلام فى جوابهم له (قالوا انما أنت من المسحرين) بمعنى المسحورين يعنى من الذين لا عقل لهم بسبب السحر ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما : ان المسحرين هم الخلق والأظهر قول قتادة ومجاهد والشاهد فى ذلك قول الشاعر :

فان تسألينا فيم نحن فاننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وقال أئمة التفسير كابن جرير والبغوى وابن كثير وغيرهم من الثقات : أن الله سبحانه وتعالى حذر قوم ثمود ان هم أصابوا الناقة بسوء . فمكثت بين أظهرهم حيناً من الدهر ترد الماء وتأكل الورق والمرعى وينتفعون بلبنها يحلبون منها ما يكفيهم شرباً ورياً ، فلما طال عليهم الأمد وحضر أشقاهم وهو قدار بن سالف، تمالؤوا على قتلها وعقرها فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب ، ذلك العذاب الذى زلزل أرضهم زلزالا شديداً فغاصت بيوتهم التى فى السهول كلها فى جوف الرمال حيث ابتلعتها الأرض ثم جاءت الصيحة العظيمة فاقتلعت قلوب من كان داخل مغارات الجبال وأتاهم من الأمر ما لم يكونوا يحتسبون لأنهم لم يتعظوا ولم يذكروا نعم الله عليهم فيما رزقهم من الأرزاق الدارة ، وجعلهم فى أمن من المحذورات وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم من العيون الجاريات، وأخرج لهم من الزروع والثمرات ونخل طلعها هضيم ، أى جامع لجميع محاسن النخلة وما تحمله من رطب لذيذ جميل شهي ، ومن ذلك النخل نوع لا نوى لرطبه كما قال بعض المفسرين ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : انهم كانوا يتخذون تلك البيوت المنحوتة فى الجبال أشراً وبطراً وعبثاً من غير حاجة الى سكناها ، وكانوا حاذقين متقنين ماهرين فى نحتها ونقشها كما هو المشاهد من حالهم لمن رأى منازلهم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ان الله أخبر عن طغاة ثمود ورءوسهم الذين كانوا دعاة قومهم الى الضلال والكفر وتكذيب صالح الى أن آل بهم الأمر الى عقر الناقة ، كما هموا بقتل صالح غيلة وأخبر سبحانه وتعالى عن التسعة المفسدين بقوله تعالى :

(وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) الخ الآيات ، وهم تسعة نفر ، ولقد غلب هؤلاء على أمر ثمــود لأنهم كانوا كبراءهم ورؤساءهم . وقال ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة وصدر القتل عن رأيهم ومشورتهم قبحهم الله ولعنهم . وروى الســدى عن أبى مالك عن ابن عبــاس : كان أسماء هؤلاء التسعة : زعمى ، زعيم ، هرم ، هريم ، داب ، صواب ، رياب ، سطيع ، ثم قدار بن سالف عاقر الناقة أى الذى باشر ذلك بيده كما قال تعالى : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) وقال تعالى : (اذا انبعث أشقاها) . قال عطاء رحمه الله : كان قوم ثمود يقرضون الدراهم ويتعاملون بها ويساعدون أهــل القرى والمدن المجاورة لكثرة أموالهم وتجارتهم . وروى الامام مالك بسنده عن سعيد بن المسيب مثل ذلك . وقال قطع الذهب والورق من الفساد فى الأرض ، وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى فى اخباره عن قولهم : (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) الخ الآيات ، انمــا قالوا ذلك لتفــرق كلمتهم ولأن الله أمسك عنهم المطر فى ذلك الوقت حتى قحطوا فقالوا أصابنا هذا الضرر وهذه الشــدة من شؤمك وشؤم أصحابك قال : طائركم عند الله ، أي ما يصيبكم من الخــير والشر فهــو من عنــد الله وبأمره ومكتوب عليكم ، وسمى طائراً لنزوله بالسرعة على الانسان فانه لا شيء أسرع من القضــاء المحتــوم ، وقال ابن عبــاس فى تفسير الآية الكريمة : (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) الخ الآيات ، لقــد أرسل الله الملائكة تلك الليلة أي ليلة هجومهم عليه ليقتلوه ، فنزلت الملائكة من السماء لحراسة دار صالح ومساجده التى يصلى فيها ، فلما أتوا مسجده شاهرين سيوفهم رمتهم الملائكة بالحجارة

من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة ، فقتلتهم عن آخرهم ، وقال مقاتل فى تفسير قوله تعالى (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) قال : كان الناجون أربعة آلاف ، وقال مقاتل وقتادة والكلبى فى تفسير قوله تعالى : (وكانوا مستبصرين) أي يرون أنفسهم أنهم على هدى وهم على باطل ، وقال الفراء : يعنى كانوا عقلاء ذوى بصائر ، وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) أي الصيحة التى أسكتتهم والزلزلة التى أدخلتهم جوف الأرض فغاروا هم ودورهم وجميع ما يملكونه على ظهر أراضيهم من بيوت فى السهول وما تحويه روى الامام أحمد رحمه الله فى عقر الناقة وعاقرها قدار بن سالف وتفسير قوله تعالى (اذ انبعث أشقاها) قال رحمه الله حدثنا ابن نمير بسنده الى عبد الله بن أبى زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذى عقرها فقال : (اذ انبعث أشقاها) انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه مثل أبى زمعة ، رواه البخارى فى التفسير ومسلم فى صفة النار والترمذي والنسائي فى التفسير من سننيهما وكذا ابن جرير وابن أبى حاتم ، وعن أبى مرثد عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه : ألا أحدثك بأشقى الناس قال بلى قال رجلان : أحيمر ثمود الذى عقر الناقة والذى يضربك يا علي على هذا يعنى قرنه حتى تبتل منه هذه يعني لحيته وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها) أى جعل العقوبة نازلة عليهم على السواء وقال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم فى عقرها

دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها أي سوى الدمدمة عليهم جميعاً وعمهم بها فلم يفلت منهم أحد سوى الأمة ، التى كانت مقعدة كما تقدم من كلام المفسرين والقراء وقال أيضاً : سواها أي سوى بينهم فى العذاب ، وقال علماء التفسير فى الآية الكريمة (وثمود فما أبقى) أى لم يبق منهم أحد فى مشارق الأرض ومغاربها سوى صالح عليه السلام ومن تبعه من المؤمنين رضى الله عنهم . وقال الجاحظ : قال علماء اللغة فى قوله تعالى (فما أبقى) أي معظمهم ، يعنى معظم الكفار ولا يستفاد من الآية الابادة النهائية وروى أبو داود فى صحيحه عن ابن معين عن وهب عن ابن اسحاق عن بجير بن أبى بجير قال سمعت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين خرجنا معه الى الطائف فمررنا بقبر فقال هذا قبر أبى رغال وهو أبو ثقيف ، وكان من ثمود ، وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب ان أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن . روى أبو جعفر قال أخبرني موسى بن عقبة عن عبد الله ابن دينار عن عمران أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال لا تدخلن على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات . هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب

ماءهم يوم ورودها ، ومن حديث أبي طفيل قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك نزل الحجر فقال : أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله تعالى لهم الناقة آية فكانت تلج عليهم الخ الحديث قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهلك الله من كانت منهم فى مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحداً كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله قالوا ومن ذلك الرجل يا رسول الله قال أبو رغال ، وفى رواية جابر قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر فى غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخل أحد وفى رواية لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين ولا تشربوا من مائهم وفى رواية ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم ألا يشربوا من بئر بها ولا يسقوا منها فقالوا قد عجنا منها فأمرهم أن يعلفوا الابل العجين وأمرهم أن يهريقوا الماء الذى استقوه من آبارهم ، وفى رواية الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة ، وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الناقة فبعث الله الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها ، وأراهم مرتقى الفصيل من الجبل ، فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها الا رجلا واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان فى حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب ، فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبى رغال فنزل القوم فابتدروا القبر بأسيافهم وحفروا عنه واستخرجوا

ذلك الغصن وروى الزهرى عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين الخ الحديث قال ثم تقنع بردائه وهو على الرحل ، وفى رواية عبد الرازق عن معمر قال ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادى قال ابن جرير رحمه الله فى تفسير قوله تعالى (اذ انبعث أشـقاها) أى أشقى القبيلة وهو الذى قال الله فيه (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) ، قال ابن جرير والأئمة كان هذا الرجل وهو قدار بن سالف رجلا عزيزاً فيهم شريفاً عارماً رئيساً فى قومه مطاعا وذكر ابن كثير بسنده عن أبى كبشة الأنمارى رضى الله عنه عن أبيه قال لمـا كان فى غزوة تبوك تسارع الناس الى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى فى الناس : (الصلاة جامعة) قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ممسك بعنزة وهو يقـول ما تدخـلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم : نعجب منهم يا رسول الله قال (أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فان الله لا يعبأ بعذابكم شيئاً وسيأتى قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً) .

ب ـ في التاريخ والسيرة

كذلك لم نعتمد فى النقل منهما الا على ثقات المؤرخين مثل ابن جرير وابن الأثير وابن قتيبة فى عيون الأخبار وفى السيرة مثل سـيرة ابن هشـام وابن اسحاق وابن حجر فى المواهب

والزرقاني والسيرة الحلبية وقصص القرآن للثعالبي وغير ذلك مما يعتمد ويوثق به ، قال ابن الأثير ان ثمود هو أحد حفدة ارم بن سام بن نوح وثمود هذا هو جد القبائل التي كانت مساكنهم بالحجر بين الحجاز والشام وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالحاً عليه السلام وهو صالح بن عبيد بن أسف ، يدعوهم الى التوحيد فقالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ، وكان الله قد أطال أعمارهم حتى نحتوا من الجبال بيوتاً كما أخبر سبحانه وتعالى ، وكانوا فى سعة من العيش فأرسل الله اليهم صالحاً عليه السلام يدعوهم الى عبادة الله وحده ونبذ الأصنام ، فلم يتبعه منهم الا القليل المستضعفون ، فلما ألح عليهم بالدعاء والتحذير والتخويف سألوه فقالوا : يا صالح اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم ، فأرنا آية فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال نعم فخرجوا بأصنامهم ، وصالح معهم ، فدعوا أصنامهم أن لا يستجاب لصالح ما يدعو به وقال له سيدهم يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ، لصخرة منفردة ناقة عشراء جوفاء فان فعلت ذلك صدقناك فأخذ عليهم المواثيق بذلك وأتى الصخرة وصلى ودعا ربه عز وجل فاذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انفجرت وخرجت من وسطها الناقة كما طلبوا وهم ينظرون ثم نتجت سقباً مثلها فى العظم فآمن به سيد قومه واسمه جندع بن عمرو ورهط من قومه ، فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه الناقة (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) ومتى عقرتموها أهلككم الله فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً فاذا كان يوم شربها

خلوا بينها وبين الماء وحلبوا لبنها وملؤوا كل وعاء واناء واذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئاً وتزودوا من الماء للغد فأوحى الله الى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل قال لا تعقروها أنتم ولكن يوشك أن يولد فيكم مولود يعقرها قالوا ما علامته فوالله لا نجده الا قتلناه قال فانه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال فكان فى المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤاً فزوج أحدهما ابنه بابنة الآخر ، فولدت بينهما المولود المشؤوم الخ ما ساقه ابن الأثير وقال ابن جرير وابن الأثير وجملة من أصحاب السير ، فلما قال لهم صالح انما يعقرها مولود فيكم اختاروا قوابل من أهل البلد وجعلوا معهم حراساً يطوفون فى البلاد فاذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذى يريد نبي الله صالح فأراد الحراس الرقباء أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أراد صالح هذا لقتلناه فكان شر مولود وكان يشب فى اليوم شباب غيره فى جمعة فاجتمع تسعة من رهط منهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون كما نطق بذلك القرآن الكريم ، هؤلاء كانوا قد قتلوا أبناءهم حين ولدوا خوفاً أن يكون عاقر الناقة منهم ثم ندموا لما رأوا قدار ابن سالف قد شب وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء ولم نقتلهم لكانوا كهذا الشاب فاقتسموا وعاهدوا أنفسهم ليقتلن صالحاً عليه السلام وأهله كما أخبر سبحانه وتعالى (قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله) الآية ـ فقالوا فى مؤامرتهم نخرج فنرى الناس أننا نريد السفر فنأتى الغار الذى على طريق صالح فنكون فيه فاذا جاء الليل وخرج

صالح الى مسجده قتلناه ثم رجعنا الى الغار ، ثم انصرفنا الى رحالنا وقلنا ما شهدنا قتله فيصدقنا قومه ، وكان صالح عليه السلام لا يبيت معهم بل يبيت في مسجده مصلياً متعبداً ، ثم نفذوا المؤامرة ولكن الله عاصم نبيه وحارسه فأرسل عليهم الملائكة من السماء فرجمتهم رجماً فهلكوا .

وسبب عقر الناقة كما قال ابن كثير وابن جرير وأصحاب التاريخ ، قالوا ان قدار يهوى (قطام) ، ومصدع يهوى (قبال) فيجتمعان بهما ، وفى بعض الليالى قالتا لقدار ومصدع لا سبيل لكما الينا حتى تعقرا الناقة وتقتلاها فقالا نعم وخرجا وجمعا أصحابهما وقصدوا الناقة وهى على حوضها فقال الشقي قدار لأحدهم اذهب فاعقرها فأتاها فتعاظمه ذلك وهاب منها فبعث آخر فكان مثل صاحبه حتى أرسل كثيراً منهم فكانوا يتعاظمون قتلها ، فمشى اليها فتطاول فضرب عرقوبها فوقعت تركض وكان هلاكهم يوم الأربعاء واسمه بلغة ثمود (جبار) وكان هلاكهم يوم الأحد وهو عندهم (أول) فلما قتلت الناقة أتى رجل منهم صالحاً عليه السلام فقال أدرك الناقة فقد عقروها فأقبل وخرجوا يتلقونه يعتذرون اليه يقولون يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا ، قال انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ، فلما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلا صغيراً يقال له (القارة) فصعد عليه ومكث يبكى ، فلما أرسل صالح قومه الى الفصيل أوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء وجعل يطول حتى ما تناله الطير فأخبروا نبي الله بذلك فجاء الى الجبل فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحاً فرغا ثلاثاً فقال صالح

لكل رغوة أجل يوم كما فى التنزيل (فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) الآية فلما انقضت الأيام بآياتها التى أخبرهم بها صالح عليه السلام حنطوا أنفسهم وكفنوها ثم ألقوا أنفسهم الى الأرض حتى أخذتهم الصيحة وكان حنوطهم الصبر والمر وأهلك الله من كان بين المشارق والمغارب منهم الا رجلا كان فى الحرم فمنعه حرم الله من عـذاب الله ـ وهو أبو رغال ـ أبو ثقيف كما جاء فى الأحاديث الصحيحة والآثار .

وقال أهل السير : لما سار النبي صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك أتى على ديار ثمود وقال لأصحابه لا يدخلن أحد منـكم على هؤلاء المعذبين ألا أن تكونوا باكين ولا تشربوا من ماء ثمود وكانوا قـد عجنوا منها فأمرهم باراقة العجين للخيـل والدواب لتعتلفه كما نهاهم عن شرب ماء آبار ثمود الا ماء البئر التى كانت تشرب منه النـاقة ، ثم أراهم مرتقى الفصيل فى الجبل وأراهم الفج الذى كانت الناقة ترد منه الماء .

ج ـ في الشعر والنثر

أما الأشعار التى وردت فى قوم صالح وقصصهم فهي كثيرة ولا حصر لها فقد ذكرهم شعراء الجاهلية وشعراء صدر الاسلام بما لو نشر لما تكفيه المجلدات ولكن لا داعى الى ذلك .

والآن نذكر جزءاً يسيراً من ذلك للذكرى والعبرة (فاعتبروا يا أولى الأبصار) .

قال الثعالبى صاحب فقه اللغة فى ثمار القلوب ، فى باب ما يضاف الى اسم الله تعالى عز ذكره ، وذكر أسماء كثيرة منهـا

(ناقة الله) وقال الجاحظ فى البيان والتبيين ، كل شيء يضاف الى اسم الله تعالى فهو عظيم وآية لخلقه كنار الله وبيت الله وأهل الله وناقة الله .. الخ .

وقال الثعالبى أيضاً فيما يضاف الى الأنبياء عليهم السلام وذكر أسماء كثيرة منها سفينة نوح ، مقام ابراهيم ، ناقة صالح، وغير ذلك من الأسماء المضافة ، وقال : كما أن هذه الناقة أضيفت أيضاً الى اسم نبيه صالح ، عليه السلام فيقال لها ناقة الله وناقة صالح ، فاذا أضيفت الى صالح كانت مثلا تضربه العرب فيمن ينبه على براءة ساحته أو خفة جرمه فيقول ضارب المثل (انى لم أعقر ناقة صالح) .

وأما ناقة الله ، فالنوق وغيرها من المخلوقات كلها لله ولكن هذه الناقة لما كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح عليه السلام خصت بالاضافة الى الله تعالى كما قال جل ذكره (ناقة الله وسقياها) ، فصارت ناقة الله مثلا سائراً على وجه الدهر وصار عاقرها مثلا فى الشؤم والشقوة وهو أحمر ثمود) حتى فى كلامهم السائر وشعرهم ورجزهم كما قال زهير فى معلقته :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضـــع فتفطم

أراد بأحمر عاد : أحمر ثمود .

قال الثعالبى : ومن ظريف التمثيل فى هذا الباب أن والى اليمامة صعد يوماً المنبر فقال فى خطبته : أيها الناس لا تجترئوا على الله فانه لا يقر على المعاصى عباده ، ولقد أهلك أمة عظيمة من أجل ناقة قيمتها ثلاثمائة درهم ، فسمى ذلك الوالى (مقوم الناقة) وصار يضرب به المثل . وقد أكثر الناس من ضرب المثل بهـــذه

الناقة فقال بعضهم فى الاقتضاء والعتاب :

حوائج الناس كلها قضيت وحاجتى لا أراك تقضيها
أناقة الله حاجتى عقرت أم نبت الحرف فى حواشيها

وكانت العرب تضرب بها المثل أيضاً فيمن يزدرد الطعام ازدراداً ويلتهمه بنهم ويشرب كشرب النزيف ببرد ماء الحشرج .
وضرب بها ابن الرومى المثل فقال وهو يصف انساناً بشدة الأكل:

شبه عصا موسى ولكنه لم يخلق الله لها فاها
رفقاً بزاد القوم لا تفنه يا ناقة الله وسقياها

وممن ذكرهم فى خطبته واعظاً وزاجراً من الخطباء الأولين : (قس بن ساعدة الايادى) من قوله : أيها الناس أين ثمود ؟ الخ الخطبة المشهورة .

وممن ذكرهم علي كرم الله وجهه فى خطبة له بالبصرة من قوله : (يا أهل البصرة يا بقايا ثمود يا جند المرأة .. الخ) .

وممن ذكرهم فى خطبته الحسين بن علي رضى الله عنهما ، كما ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين قال قال روى عن الحسن انه قال : (قتل الناقة رجل واحد ولكن الله عم أمة عظيمة بعذابه لأنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه فعمهم الله بالعذاب الخ الخطبة .

نظرة نقدية

وبعد هذه الجولة فيما كتبه القدامى من قصة « ثمود » يجدر بنا أن نشير الى أن ما يجب الاعتماد عليه أساساً فى هذه القصة هو كتاب الله الكريم ، ثم الصحيح الثابت من الحديث الشريف .

أما غير ذلك من روايات المفسرين والمؤرخين فعلينا أن نتلقاه بروح النقد ونضعه على محك العقل ، لنميز غثه من سمينه ، فما أكثر الاسرائيليات التى حفلت بها كتب التفسير والتاريخ ، وأساءت الى التراث الاسلامي النقي الناصع ، ولذا فاننا نحدد موقفنا من هذه القصص والروايات على النحو الآتي :

أ ـ ما لا يتعارض مع النص القرآنى ، وليس به زيادة مُخِلَّة ، نقبله دون تردد ، فاذا قالوا : « حتى اذا كان يومهم من الشرب يشربون ما شاءوا ويدخرون ما شاءوا ليوم الناقة » فان نصهم على ادخار الماء لليوم التالى أمر طبيعى ، وهو استنتاج يتفق مع الآيات القرآنيــة : « قالوا انما أنت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصــادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم .

ب ـ ما يكون هناك احتمال لوجوده اذ توحى به الآيات ، فهذا لا مانع من قبوله . انشرب الناقة ماء تستهلكه مدينة بأسرها هو المعجــزة التى نص عليهــا القرآن ، لكنّ الآيات السابقة ثم قوله تعالى : « ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ... الخ » توحى باحتمال أن تكون المعجزة فى خلقها عن غير الطريق الطبيعى المألوف، وهذا ما عبروا عنه «بانصداع الصخرة عن ناقة عشراء جوفاء .. » .

جـ ـ الأخبــار التى تحتمل الصدق والــكذب يستوى فيها الأمران والأولى تركها وبخاصة اذا كانت بعيدة الاحتمال .

د ـ ما هو مخالف للمنطق والعقل أو من صـــــور الوهم والخيال . وهذا يجب شجبه واهماله واطراحه . فحكاية أم غنيم صدوف اذ أغرت أولاهما «قدار بن سالف» وعرضت عليه مالها وبناتها ، وأغرت الثانية «مصدح بن مهدج» وجعلت له مالهـا وعرضها وشرفها ، ان هما عقرا الناقة ، حكاية بادية الافتعال هي من نسج الخيال ولا سيما اذا ما تذكرنا رواية أخرى رواها أن الذى أوعز لقدار بالعقر هو أبوه سالف !

ثم تلك الأخبار المضطربة التى اخترعوها حول نسب قدار وصفته ونشأته ، مما لا يصدقه العقل . فقد وصف القـــرآن الكريم العاقر المبتدر بأنه « أشقاها » أى أشقى ثمود وأطلق عليه النبى صلى الله عليه وسلم « أُحيمر ثمود » ولكن روايات القصّاصين والمفسرين لم تكتف بتعيين اسمه « قدار بن سالف » بل ذكرت أسماء تسعة آخرين ، واضطربت فى وصف قدار فهو مرة ابن غير شرعى ، وهو أخرى ابن شرعى للرجل العاشر الذى امتنع عن قتـــل ابنه بعد أن قتل التســـعة الآخرون أولادهم فى شهر واحد ــ ذلك القتل الذى يجانف الفطرة البشرية ولا يعقل أن يقرهم عليه ســيدنا صــالح ــ . وأكثر من ذلك أن السدى الذى قال عنه الليث بن أبى سليم : « كان بالكوفة كذابان : أحدهما الكلبى والآخر السدى ! » ، وصف الأشقى بأنه « كان قصيراً أزرق وانه كان يشب فى يومه شباب غيره فى جمعة وفي الشهر شباب غيره فى سنة » أى أنه يبلغ من العمر عشرين سنة فى مدة عشرين شهراً !!

دولة ثمود

يعتبر نقش الملك « سرجون » الأشورى أقدم نص ورد به ذكر ثمود اذ يرجع تاريخه الى القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد سجل اسم « ثمود » بين أسماء القبائل والشعوب التى أخضعها لحكمه .

ومعنى هذا أن ثموداً كانت تتمتع بكيان مستقل فى هذا التاريخ أو قبله بمدة لا نعرف تحديدها حيث قدموا الى هذه المنطقة من جنوب الجزيرة بعد حروبهم مع عاد وأسسوا دولتهم بشمال الجزيرة .

ويبدو أن الثموديين قد تخلصوا من السيطرة الأشورية واستعادوا استقلالهم فكان سلطانهم يمتد من البحر الأحمر فى منطقة شمال الحجاز حتى جبلى أجا وسلمى وقد اختلف الباحثون فى المنبع الأصلى لشعب ثمود ؛ أهو الحجاز على ساحل البحر الأحمر كما يرى « ديودورس » و « أغاثرسيدس » أم هو «دومة الجندل» كما يظن « بلينى » و « يوسفوس » وبعض مؤرخى العرب ، أم هو المكان الذى يُعرف بالخريبة فى وقتنا الحاضر كما يرى «دوتى» أم هو جبلا طيء حيث تقطن قبيلة شمر اليوم ؟ وكأن هؤلاء الباحثين يرون انبثاق ثمود فى أحد هذه المواطن ، ولم يفدوا الى الشمال من الجنوب حسب القول التقليدي المشهور ! ومهما يكن من شيء فقد عُرفت قبائل ثمودية فى غير منطقة الحجر ، كقبيلة « ماسا » فى ناحية الشرق وقبيلة « سامع ال » التى تعتبر قبيلة

،يماء الأصلية ، وقبيلة « نبايات » تلك القبيلة القوية المنيعة كثيرة العدد التى كان لها دولة ، كما يرى « جلازر » فى المكان الذى تقع فيه مدينتا « بُريدة » و « عنيزة » اليوم .

وفى الوقت التى ظهر فيه أول وجود تاريخى لثمود ، كان الدادانيون يعيشون فى شمال غربى الجزيرة فى « دادان » وهى ما يسمى بالعلا اليوم ، وأسسوا مملكة هناك بشمال شرقى واحة « العلا » وبنوا مدينة بموضع « الخريبة » اليوم واتخذوها مقرأ رئيسياً لهم ، وكان ذلك فى القرن الثامن ق.م. وكان لدادان أثير كبير فى تجارة الشرق القديم وثقافته .

ومنذ القرن الرابع ق.م. ظهر على مسرح الحياة شعب لحيان الذى يعتقد كثير من المؤرخين أنه فرع من الشعب الثمودى ، وامتدت سيطرته عبر القرون حتى القرن الثانى للميلاد ، على الأرض الواقعة غرب النفود من شمالى « يثرب » الى ما يحاذى خليج العقبة الذى كان خاضعاً لنفوذ ملوك لحيان . وقد سمّاه اغاثرسيدس الذى زاره فى القرن الثانى ق.م. « خليج لحيان » او لحينيت ... ثم حرّف اليهود الاسم وأعطوا الكلمة صبغة عبرية وأطلقوا عليه « ايلات » ونسبوه اليهم .

وقد تأثر اللحيانيون بثقافة الدادنيين ، بل ربما أخذوا معبودهم « ذوغبَّت » عنهم وقد أصبحت واحة « دادان » تحت سلطان اللحيانيين .

مركز ثمود التجاري : ولم تقتصر أهمية ثمود على حضارتها العمرانية وحياتها الزراعية ــ كما رأينا وكما سنرى ــ بل لقد كان لها شأن أى شأن ــ مثلها مثل جيرانها الدادانيين واللحيانيين

ـ فى الحياة التجارية للعالم القديم ... وقد لعبت «تيماء» والحجر دوراً كبيراً حيث كانتا على الخط التجارى البرى الذى تنقل عن طريقه الى الشمال والى الشرق والى الغرب حاصلات جنوب الجزيرة من التوابل والبخور بالاضافة الى البضائع المستوردة من افريقية والهند والصين .

« كان هذا الخط يمتد من اليمن ويسير شمالا موازياً لساحل البحر الأحمر حتى يصل يثرب (المدينة المنورة) ثم يأخذ اتجاهاً يساير اتجاه الخط الحديدى الحجازى ، ماراً بمدينة « العلا » و « الحجر » (مدائن صالح) ، ومنها الى البتراء فى الأردن ، ومن « البتراء » كان يتفرع منه خط يسير غرباً الى « غزة » و « عسقلان » على البحر المتوسط ، بينما يخرج خط آخر من « البتراء » متجهاً عبر سيناء الى مصر ، كما كان خط آخر يخرج من « البتراء » متجهاً شمالا الى دمشق وآسيا الصغرى(١) » .

وهناك فرع هام لهذا الطريق البرى الواقع فى الجزء الغربى من الجزيرة العربية ، ويبدأ هذا الفرع من « مدائن صالح » ويتجه الى تيماء ، ومنها عبر الصحراء الى بلاد ما بين النهرين ، أو الى « الجوف » ومنها الى وادى السرحان ثم الى سورية .

هذا هو مركز ثمود فى الخط البري التجارى الذى كانت له

---

(١) راجع محاضرة الأستاذ عادل العيّاش عن « تيماء الأثرية » و « فى شمال غرب الجزيرة » للجاسر ٣٧٣ ـ ٣٧٤ .

مكانته فى تاريخ الجزيرة العربية الحضارى والسياسى وبخاصة فى الألف الأول قبل الميلاد ...

وكانت منطقة الواحات « مسرحاً لصراع طويل بين اللحيانيين والثموديين ، ثم بين اللحيانيين والأنباط ... وهو صراع أدى الى تحويل الطريق التجارى من قبل الثموديين ، يساعدهم الأنباط عدة كيلومترات شرقاً من « الخريبة » ـ المركز التجارى الأصلى للدادانيين ومن بعدهم اللحيانيين ـ الى ما يُسمى حالياً بالقرح .. ومن ثم بدأ نفوذ اللحيانيين الحربى والتجارى يتضاءل شيئاً فشيئاً الى أن سقطت دولتهم تحت حكم «الأنباط»(١) .

أثر الأنباط : ويرى بعض المؤرخين أن لمملكة لحيان عصرين : الأول : العصر المشارك للحكم النبطي حيث خضع اللحيانيون للأنباط فيما بين القرن الثالث والثانى قبل الميلاد . الثانى عصر الاستقلال الذى بدأ من القرن الثانى قبل الميلاد ، وانتهى فى القرن الأول للميلاد حيث انطوت لحيان تحت الاحتلال النبطى مرة أخرى ، وظل النبط بشمال الجزيرة الى أن قضى الامبراطور «تراجانوس» على سيادتهم وأصبحوا خاضعين للرومان فى أوائل القرن الثانى للميلاد .

وهؤلاء الأنباط عَرَب من الجزيرة العربية « بل هم أقرب

---

(١) « اللغة العربية فى عصور ما قبل الاسلام » لأحمد حسين شرف الدين ص ٥٨ .

العـرب الى أهـل الحجـاز بحكم لغتهـم وأسمائهم ومعبوداتهم وتقاليدهم » . ويرى الأستاذ حمد الجاسر أن قدومهم كان من سراة الحجاز الواقعة جنوب الطائف .. ثم انتقلوا الى قرب المدينة ومن هناك انطلقوا الى الأردن وأسسوا دولتهم .

وقد استولى النبط على « الحجر » (مدائن صالح) عام ٥٢ ميلادية أو قبيل تاريخ الميلاد كما يذكر « جرجي زيدان » ... وقد عثر على عدة آلاف من النقوش النبطيـة فى تيماء والعـلا ومدائن صالح .. منها النقوش المنحوتة فى الصخر كقصر البنت والقلعة والبرج وكان من أثر النبط أن أبجديتهم النبطية قـد أثرت فى الأبجديات الثمودية وسائر أبجديات المسند الشمالية لأنها جاءت بعقلية وصل الحـروف وحصر الكلم مما غيَّر من وضعية الحـروف تغييراً تاماً . وهذا ما جعل الباحثين يحكمون بأن أبجديتنا العربيـة التى نكتب بها اليـوم انما هى أبجـدية آرامية اقتبسها الأقدمون بواسطة الأنباط(١) .

ثمود والغزو البابلى : وفى القرن السادس ق.م مُنيت ثمود بالغزو البابلى ، كما منيت من قبل بالغزو الأشوري ؛ فمن نقش على لوح محفوظ الآن بالمتحف البريطانى بلندن برقم **٣٨٢٩٩** نعلم أن « نابونيدس » خرج من بابل بعد أن ولى مكانه ابنـه الأكبر فى حملة طويلة عام **٥٥٢** ق.م وصل فيها الى « تيماء » ، حيث قتل أميرها وقتل ماشيتها وماشية سكان المناطق المجاورة ،

---

(١) اللغة العربية فى عصور ما قبل الاسلام ص ٣٧ .

، أقام بجيشه فى « تيماء » ، الا أنه بعد أن احتل المدينة قام بتجميلها ، وبنى لنفسه قصراً على غرار قصره فى بابل وبنى الأسوار لتحصين المدينة ..

وقد ذكر المؤرخون أن « نابونيدس » هذا ــ وهو آخر ملوك الدولة البابلية الثانية ــ قد اتخذ تيماء عاصمة له من سنة ٥٥٠ الى سنة ٥٤٥ قبل الميلاد ، مما يدل على أنه كان بها حضارة زاهية(١) .

ولا شك أن شيئاً ما قد شد قلب العاهل البابلى فى تيماء والا لما ابتنى بها قصره ، وجعلها مركزاً سياسياً له . ولعله أراد أن يسيطر على محطة تجارية هامة لا لكى يضمن وصول السلع التجارية الى بابل فحسب ، بل لكى يتحكم فى بؤرة مفارق الطرق أيضاً « فتيماء تربط العقبة والبتراء غرباً بخليج العرب شرقاً ، وهي وسط بين مكة والشام وفى منتصف الطريق بين بابل ومصر » .



وهكذا عاشت دولة ثمود فى مد وجزر وتعاون وتنافس مع جيرانها ، يندلح نفوذها حيناً ويتقلص حيناً آخر اذا ما تعرضت للغزو الخارجى ... الى أن حلّ غضب الله على « ثمود الحجر » فهلكوا لبغيهم فى وقت لا يستطاع معرفته ولا تحديده .

وآخر نص عُثر عليه للثموديين هو ما يذكر « التحاق خيالة منهم بجيش البيزنطيين فى القرن الخامس » .

---

(١) « الجزيرة العربية » لمصطفى الدباغ ١/١٧٢ .

معجم المدائن

بالنسبة لنفوذهم الأول وامتداد سلطانهم على معظم البلاد العربية وبالنسبة لحدودهم الجغرافية الأولى قبل نزول العذاب وهلاكهم ، والتى كانت تمتد من ساحل ايلات بفلسطين حتى ساحل البحر الأحمر المقابل للموانىء الحبشية كما ذكره ابن الكلبى وغيره من مؤرخى البلدان العربية ، واليك الأمكنة التى كان لهم نفوذ عليها فى أيام دولتهم وهى مرتبة بحسب حروف المعجم .

بتراء

باء مفتوحة وتاء ساكنة وراء وألف وهمزة ، مسجد بين تبوك ومدائن صالح ـ هذا لا وجود له الآن ـ لكن هناك مساجد على طريق السكة الحديدية وطريق الابل بين الشام والمدينة مخططة بالأحجار الضخمة والصفائح وقطع اللبن ، يزعم البدو الرحل أنها آثار الأولين ومن جملتها هذا المسجد الذى لا يزال بهذا الاسم فى طريق تبوك قريب من ديار ثمود قد عفت معالمه مع وجود موقعه لكن الوصول اليه من طريق الابل التى تسير بالقوافل زمن الحج وهذا المسجد ، ذكر أصحاب السير أنه من مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خططه فى غزوة تبوك ، وصلى فيه مع الصحابة ، وقال بعض أهل التاريخ انه فى طريق البتر والعريشان بين (برق نعاج والحجر) وقد جاء ذلك في شعر القتّال الكلابى من قصيدة :

عفا النجب بعدى فالعريشان فالبتر

فبرق نعاج من أميمة فالحجر

بـــــدا

موضع بين الشام والحجاز وهو بقرب وادى القرى وعلى ثلاثة أميال من مدائن صالح وبه واد فسيح معشب معروف له شهرة فى أيام الربيع وقد ذكره الشعراء فى أشعارهم فمن ذلك ما جاء فى قصيدة لأبى وجزة السلمى :

يا أم شيبة أى ساعة مطرق نبهتنا أين المدينة من بدا

وبه واد فسيح يقال له وادى بدا بين الشام ومدائن صالح ذكره جميل بثينة من قصيدة :

الا قـــد أرى الا بثينـــة للقـــلب
بـــوادى بدا لا بحسمى ولا الشـــغب

براق ثجـر

بكسر الباء ثم راء وألف وقاف وثاء ثجـر مفتوحة وجـيم ساكنة ثم راء ، هذه مدينة من مدن مدائن صالح ذكرها المفسرون، لكن لا وجود لها الآن ، ولعلها من المدن التى غاصت وتجلجلت فى الرمال حين نزول العذاب ، وقد ذكر هذه المدينة ياقوت فقال انها بقرب وادى القرى ، ولها ذكر فى الشعر ، كما ذكرها كثير من الشعراء منهم عبد الله بن سلمة من قصيدة :

ولم أر مثل بنت أبى وفاء غداة براق ثجر أو أجوب

بُصـــاق

بضم الباء ثم صاد وألف وقاف ، اسم جبل بين أيلة وصحراء سيناء يطل على سهول متصلة بمدائن صالح وهذا البصاق خلاف

الموضع الذى بقرب مكة ، وهذا البصاق يوصل الحجاز بالشام عن طريق المدائن وله ذكر وجاء فى شعر جميل بثينة :

ولا ببصــاق قـــد تيممت فاعـــترف
لمــا أنت لاق أو تنــكب عن الــركب

بلاكث

بفتح الباء وكسر الكاف بين خيبر ووادى القرى وبها عيون ونخل قال كثير عزة :

بينمـــا نحن من بلاكث بالقـــاع سراعا
والعيس تهـــــوى هــــــويا

تبــــوك

بفتح التاء ثم باء مضمومة وواو وكاف . محاذية لديار ثمود ومعظم المفسرين قالوا ان أصحاب الأيكة هم أهل تبوك وهى على عدة أميال من وادى القرى كما قال أبو زيد أن تبوك أول الشام وهى بين الحجر وأول الشام ، وتعد فى القديم من مجموع مدن ثمود ، وقال المفسرون بعث الله الى أهل تبوك شعيباً عليه السلام ولم يكن منهم وانما كان من (مدين) ومدين مدينة على ساحل الروم قريبة من تبوك وأهل تبوك هم أصحاب الأيكة . التى هى الشجرة العظيمة ، وتعد تبوك من الحجاز وموقعهـا الجغرافى بين جبل (حسمى) وجبل (شرورى) فيحدها جبــل حسمى من الغرب وشرورى من الشرق .

تيمـــاء

بلد تقع فى أطراف الشـــام وهي أقرب الى الحجاز من جهة وادى القرى ومدائن صالح على طريق حاج الشام وكانت قديماً من أشهر مدائن صالح وقد ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال من معلقته فيها :

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أطما الا مشيداً بجندل

وتيماء بهـــا حصن السموأل بن عادياء ـ اليهـــودى دينالا ارومة فهو عربى قحطاني غساني ـ ولذلك يقـــال لهـــا تيماء اليهـــودى وهي من مدن ثمود قديماً وكان ســـكانها من اليهود فأجلاهم عمر رضى الله عنه لما أجلى اليهود من جزيرة العرب ، وهذا الحصن يضرب به المثل فى الاحكام والفن والارتفاع والمناعة واول من ذكره في شعره صاحبه السموأل من قصيدته :

والأبلق الفرد الذى شاع ذكره يعـــز على من رامه ويطول

وقال الأعشى :

ولا عاديا لم يمنع المـــوت ماله وورد بتيماء اليهودى أبلق

ولهذه المدينة أهمية ظاهرة من النواحي الدينية واللغوية والأثرية اذ تعتـــبر « تيماء » المركز الأول للديانة الثمـــودية الوثنية ، ففى جبل « غنيم » آثار معبد ثمودى قديم كان يُقدس فيه الأله « صلم » وهو يمثـــل لدى الثموديين اله القمر لدى السبئيين .

ومن الناحية اللغوية تعتبر « الثمودية التيماوية » هى الأم التى تفرعت عنها ثموديات نجد والحجاز وتبوك .

أما من الناحية الأثرية فتيماء مليئة بالآثار من كتابات على الصخور أو حجارة منقوشة ، أو بقايا أوان خزفية أو قطع نقود .. الخ .. و « حجر تيماء » الذى سنتحدث عنه فيما بعد من أهم آثارها ... كما أن بقمة جبل « غنيم » ـ واسمه القديم حَدَد ـ وهو يطل على تيماء من الناحية الجنوبية الشرقية ـ بقايا معبد مبنى بالحجر به رسوم ونقوش ثمودية يبرز من بينها نقش على هيئة رأس ثور للصنم الشهير « صلم » هذا بالاضافة الى أن الجزء الغربى من واحة تيماء ـ كما يصف الأستاذ «عادل عيَّاش» ـ « يضم تلالا أثرية تبلغ مساحتها ٦٤ هكتاراً ، ويحيط بها مجموعة من الأسوار الحجرية الضخمة يبلغ طولها خمسة أميال ويرجح أنها تعود أواخر القرن السادس ق.م وأوائل القرن الخامس قبل الميلاد » واذا ما كشفت عن أسرارها للمنقبين فستعلم الكثير عن العلاقات بين حضارات الجنوب وحضارات ما بين النهرين فى النواحى التجارية وغيرها ، وعن مملكة الأنباط ومملكة معين .

جَعجَع

جيم مفتوحة وعين ساكنة وجيم مفتوحة ثم عين ، واد بين الشام والحجاز بقرب ديار ثمود ، له ذكر فى الشعر ولا زال باقياً لليوم ، تنزله البدو أيام الربيع وقد ذكره الشعراء فى شعرهم ومنهم جميل بثينة حيث قال :

مللن ولـــم أملل وما كنت ســـائماً
لأجمـــال ســعدى ما أنخن بجعجــع

ولم يذكر ياقوت هـذا الموضع ولا شاهده ولعـله لم يقف عليه .

الحـبر

اسم واد من أودية الحجر يبعد عن بلد الحجر بحوالى ميـل ونصف الميـل وضبطه بكسر الحاء وسكون البـاء وذكره ياقوت واستشهد بأبيات وممن ذكر هذا الوادى فى شعره ، (المرار) ابن سعيد بن الأشم ، من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، قال من قصيدة :

ألا قاتل الله المقادير والمنى وطيراً جرت بين السعافات والحبر

الحِجر(١)

بكسر الحاء وسكون الجيم ثم راء ، اسم لقرية جبلية عظيمة تقع بين وادى القرى والمدينة المنورة والشام وأكثر المؤرخين

---

(١) الحجر بفتح الحاء ما حجرت عليـه ومنعتـه من الوصول الى غرضـه ومأربه. وبابه قطع ، والحجر بتثليث الحاء معناه الحرام ومنه الآية (وحرث حجر) والآية (ويقولون حجراً محجوراً) والحجر بكسر الحاء معناه العقل ومنه الآية (هل في ذلك قسم لذى حجر) والحجر بكسر الحاء أيضاً ما حواه الحطيم المدار بالبيت جانب الشمال من الكعبة وما تركت قريش في بنائها من اساس ابراهيم عليه السلام وقد كان ابن الزبير أدخله في الكعبة حين بناها فلما هدم الحجاج بناءه جعل الحجر كما كان في عهد الجاهليـة ، وفي هـذا الحجر قبر هاجر أم اسماعيل عليه السلام ، والحجر بكسر الحاء أيضا اسم لقرية صغيرة ذات عيون ونخيل وآبار بجانب الرحضية على بعد بضعة أميال من المدينة وهذه القرية بما فيها من زرع وماء لبنى سليم خاصة ، والحجر بفتح الحاء وسكون الجيم مدينة باليمامة وموضع ببـلاد بني عقيل والحجـر بضم الحاء وسكون الجيم قرية باليمن وسكانها يدعون بالحجرية ولها ذكر في التاريخ .

يضمونها الى وادى القرى(١) وقال ياقوت الرومى انها على مسيرة يوم للراكب على البعير وقد زارها ياقوت المذكور صاحب المعجم ووقف عليها ووصفها وصفاً موجزاً فقال انها تقع بين جبال وكانت ديار ثمود ، وجبالها منحوتة فى جوفها وبأسفلها وسفوحها وقال ياقوت ان هذه الجبال كبيوتنا المبنية الا أنها منحوتة نحتاً جميلا وتسمى جبالها بالأثالث وهى جبال اذا رآها الرائى من بعد ظنها متصلة ببعضها كالسلسلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها يطوف بكل قطعة منها الطائف ، وحواليها الرمل لا يكاد يرتقى ، كل قطعة منها قائمة بنفسها لا يصعدها أحد الا بمشقة شديدة ، وبها بئر ثمود الذى ورد فى القرآن الكريم ، وبها عيون وآبار لبنى سليم خاصة وحذاءها جبل ليس بالشامخ يقال له قنة الحجر وقد ذكره جميل بن معمر فى شعره فقال من قصيدة :

أقــول لداعى الحب والحجــر بيننــا
ووادى القــرى لبيــك لمــا دعانيــا

هذا ما قاله ياقوت عن الحجر . وقال المفسرون منهم ابن كثير والبغوى قالا : الحجر هى مدينة قوم ثمود وتقع بين المدينة والشام .

والحجر لها ماض قديم وحضارة هائلة وبحذائها وادى القرى له ذكر عظيم وكان يسكنه الكثير من الشعراء والأدباء والفدائيين لا رغبة فيه ولكن لقربه من الشام وما فيه من آثار وعجائب

---

(١) وهو ما يسمونه اليوم (العلا) وسياتي ذكره فيما بعد .

غرائب يكاد لا يصدقها العقل لولا أنها ماثلة للعيان وأعظم تلك المشاهد الجبال المنحوتة التي ترشد السائح الى أن الماضين كانت لهم قوة ومهارة منقطعة النظير ، والحجر ذكرها غير واحد من الشعراء منهم زهير ابن أبى سلمى صاحب المعلقة قال من قصيدة فى مدح هرم بن سنان ، مطلعها :

لمن الديار بقنة الحجر أقوين مذ حجج ومذ دهر
دع ذا وعد القول فى هرم خير الكهول وسيد الحضر

وقد تقدم الشرح فى قنة الحجر ، وقال النابغة الذبياني أيضاً من قصيدة :

همو قتلوا الطائى بالحجر عنوة
أبا جابر واستنكحوا أم جابر

وهذا الحجر حجر اليمامة لا حجر ثمود فليلاحظ ذلك على الرغم من كون الشواهد جاءت فى حجر ثمود لكن الواقع عكس ذلك وحجر اليمامة بفتح الحاء .

وأكثر الشعراء ذكراً للحجر وأعنى به حجر ثمود : هو جميل بن معمر صاحب بثينة حيث كانت محبوبته بثينة تسكن وادى القرى ولها بساتين بحقل وأيلة وتيماء ودائماً ما تتنقل مع أهلها وترحل وترتاد هذه الأماكن وجميل يتعقبها وينشد القصائد الرنانة فى هذا المضمار ، ومن ذلك قصيدته الرائية التى رواها الكثير ، وغنى فيها غير واحد ولحنها كثير من الملحنين والتى مطلعها :

ما أنس لا أنس منها نظرة سلفت
بالحجر يوم جلتها أم منظور

ومنها قصيدته الرائعة التى مطلعها :

ألمّ خيـــال من بثينـــــة طـــارق
على النـــأى مشـــتاق وشـــائق
سرت من تلاع الحجـــر حتى تخلصـــت
الي ودوني الأشـــعرون وغافـــق
كأن فتيت المســـك خـــالط نشرها
تغـــل به أردانهـــا والمرافـــق
تقـــوم اذا قامت به عن فراشـــها
ويغـــدو بها من حضـــنها من تعـــانق

والمراد بهذا الحجر حجر ثمود .

حسمى

بكسر الحاء وسكون السين ثم ميم مفتوحة وألف مقصورة ، موضع وراء وادى القرى متصل بالحجر تماما من طريق الابل ولا يزال موجوداً للآن ومعروفاً وله ذكر فى الشعر وخاصة جميل بثينة من قصيدة :

ألا قـــد أرى الا بثينـــة للقـــلب
بوادى بدا لا بحســـمى ولا الشـــغب

وهذا الشاهد لم يورده ياقوت ، ولعله لم يقف عليه ،ولكنه أتى بشواهد لحسمى المختلف عليها والتى بقرب الجودي ، أما هذه فمشهورة ، واديها وجبلها ومن تسلق أعلا نخلة فى تبوك يرى جبل حسمى ، وذلك عندما يتراكم السحاب وتجود السماء ،

يتسلق الشائم فيخبر بمواضع هطول الأمطار وقد مر بي هذا الحدث في رحلتي عام ١٣٦٠ حينما كنت بتبوك ، كذلك المتسلق لأعلي شجرة في العلا أو المتسنم لأعلي ذروة في جبال وادى القري يرى (حسمى) وقد مررنا به في رحلتنا لكننا لم نستطع تسلقه مع أننا أقمنا بحقل وأيلة أياماً عديدة والسبب في ذلك راجع الى كثرة العجاج وشدة الريح اذ كلما عزمنا على تسنمه تشتد بنا الريح فنهبط قسراً وقد ذكر حسمى أكثر من أربعين مؤرخاً ورحالة ويزعم البدو الرحل وأهل الماشية هناك أن بقمته وحشرجه مياه متعفنة لا يقرب منها أحد فقلت في نفسي (سبحان الله) كأنهم سمعوا أو قرءوا كلام أحد المؤرخين اذ قال أن بحسمى بقية من ماء طوفان نوح لا يكاد يقربها أحد لنتنها ، وأقرب الأقوال صحة ومشهداً قول ابن السكيت أن جبال حسمى وأوديتها ملك لجذام وهي بين أيلة وتيه بني اسرائيل ، ويقصد به صحراء سيناء ، وبينه وبين المدينة ست مراحل وبينه وبين وادى القرى عدة أميال وأكثر من وصف حسمى من الشعراء جميل بثينة كما تقدم وكثير عزة من قصيدة :

سيأتي أمير المؤمنين ودونه ... جماهير حسمى قورها وحزونها

وقال النابغة من قصيدة :

فأصبح عاقلا بجبال حسمى ... دقاق الترب محتزم القتام

ووصف أرض حسمى وجبالها المتنبي في رحلته وأرض حسمى طيبة تنبت جميع النبات مملوءة جبالا شاهقة متناوحة ملساً لا يرقاها أحد الا بمشقة عظيمة .

حقــــل

بفتح الحاء وسكون القاف ثم لام ـ يطلق على قرية بها نخيل ومياه وبساتين وهو بقرب أيلة على ساحل خليج العقبة وبينه وبين أيلة التى تسمى اليوم ايلات على خليج العقبة مسافة قليلة وكانت حقل ساحلا لتيماء قديماً كما أثبته الكلبى وكان لعزة صاحبة كثير بستان فى هذه القرية وأشار كثير الى ذلك بقوله من قصيدة :

سقى دمنتين لم نجد لهما أهــلا بحقل لكم ياعز قد زانتا حقلا

وكان بهذه القرية فى القديم علماء وفقهاء منهم ابن أعين الحقلى مولى نافع رحمه الله كما حققه ياقوت رحمه الله .

حقل قباب

موقع كثير الأحجار بين المدينة والشام ليس به ماء ومن كثرة أحجاره ترى كالقباب وله ذكريات لم يشر اليها ياقوت فى معجمه لعـله لم يقف عليهـا ، من ذلك ما جاء فى قصـيدة أبى عـدى العبلى :

هيهات تلك معــالم من ذاهب أمسى بحوضى أو بحقل قباب

وقباب بكسر القاف .

وحقل أيضاً تطلق على المزرعة ، وعلى واد خصيب ذى زروع وعشب ملك لبنى سليم وقد ذكره العباس بن مرداس فى شعره من ذلك :

وما روضــة من روض حقــــل تمتعت
عـــرارا وطبـــاقا ونغـــلا توائما

وجبل حقل بوادى (آرة) يقال له حقل ولم يعلق الأستاذ هارون على هذا الوادى بشيء سوى أنه قال كنت أثبته حقيل الخ ولو تجول قليلا لعلم أن نصف هذا الوادى مع ثلثى الجبل يعد من الحد الشامى لا التهامى وحقل الرخامى موضع آخر جاء فى شعر الشماخ من قصيدة :

أمن دمنتين عــــرج الركب فيهمــــا
بحقــــل الرخامى قد عفــــا طللاهما

وحقل أيضاً موضع باليمن من بلاد خولان من نواحى صعدة وكانت خولان قتلت فيه أخاً للعباس بن مرداس السلمى فقـال قصيدة فى ذلك منها :

فمن مبــــلغ عوف بن عمرو رســــالة
ويعلى بن ســــعد من ثؤور يراســــله
بأنى ســــأرمى الحقــــل يوما بغــــارة
لهــــا منــــكب حانى تدوى زلازله

وذكر هذا الحقل أيضا ابن كنيف النبهانى فمن ذلك :

ملكنا حقل صعدة بالعوالى ملكنا السهل منها والحزونا

وهذا أيضاً به حجارة كثيرة تشبه القباب وقال أبو المنـذر سبب تسمية حقل خولان بالحقل ـ لأنه كان يسكنه رجل يقال له ذو قباب بن مالك بن حمير ـ .

و (حقل) أيضاً ـ قرية لبني درماء من طيء فى (أجا) .
و (حقل) أيضاً ـ قرية بالخرج من ناحية وادى اليمامة .

خيـــبر

بفتح الخاء وسكون الياء مع باء مفتوحة وراء : بلد مشهور به مياه ونخيل وكان له شهرة في القديم ـ وكان يرتبط ارتباطاً قوياً بوادى القرى وتيماء وديار ثمود وكان سكانه من اليهود وبه حصون سبعة ومزارع ، وكانت خيـبر قد فتحت فى السـنة السابعة من الهجرة ولها قصة طويلة تراجع فى السير ولما فتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المنازلة التى دامت شهراً قال أهلها اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا علماً بالأرض والمياه والزرع والنخل فأقرنا واجعل لنا نصف ما تخرجه الأرض من محصول فأقرهم ومكثوا على ذلك الى زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنـه فرأى منهم ما ينـكره وسمع بظهـور الزنا فيهم والتعبث بالمسلمين فأجلاهم الى الشام وقسم خيبر بين من كان له فيها سهم من المسلمين كما جعل لأمهات المؤمنين نصيباً فيهـا . وفعل ذلك عمـر لأنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته يقول لا يجتمع دينان في جزيرة العرب . فلذلك أجلاهم نهائياً ، وكانت خيبر ولا تزال موصوفة بالحمى وكانت العرب تذكر حمى خيبر فى أشعارها وأمثالها ومن ذلك :

كأن به اذ جئتـه خيـبرية ‌ ‌ ‌ ‌ يعود عليه وردها وملالها

وقال أعرابى لما قدم بعياله على خيبر ونزلها ، من قصيدة :

قلت لحمى خيبر اسـتعدى ‌ ‌ ‌ ‌ هاك عيالى فاجهدى وجدى

وقال الأخنس :

ظللت بها أعرى وأشعر سخنة ‌ ‌ ‌ ‌ كما اعتاد محموما بخيبر صالب

وخيبر مشهورة بكثرة المياه قديماً والنخل والتمر الجيد وقد ذكر ذلك بعض الشعراء ومنهم حسان رضي الله عنه من قصيدة :

فانا ومن يهــوى القصــائد نحــونا
كمستبضع تمــــرأ الى أرض خيـــبر

وخيبر لها ذكريات قديمة وقد ذكرها كثير من الشعراء منهم جميل بن معمر كما ذكرها جعفر بن سراقة من بني قرة من قصيدة :

منعنـــــاه من عليــــا معـــــد وأنتم
ســـفاسيف روح بين قـــرح وخيـــبرا
فريقـــان رهبان بأســـفل ذى القـــرى
وبالشـــــام عرافـــــون فيمن تنصرا

الرَّحِضية

بتشديد الراء المفتوحة وسكون الحاء وكسر الضاد مع ياء مشددة مفتوحة ثم تاء مربوطة ـ وهي قرية بحذاء الحجر وبها مياه ونخل كانت للأنصار وبنى سليم أما اليوم فقد نضبت مياهها وليس بها الا القليل من السكان الذين يعدون على الأصابع وبهذه المناسبة فقد علق الأستاذ عبد السلام هارون فى تعليقاته على جبال تهامة بنوادر المخطوطات لعرام بن الأصبغ فقال معترضا على الأستاذ حمد الجاسر فى تحقيق كلمة الرولة وكلمة الرحضية

حين قال : (مع أن البكرى جعلها الرحيضة مصغر الرحضة) ولو تجول الأستاذ لعلم أن الرحضيات ثلاث ـ الأولى هى قـرية بنجد على طريق البصرة ، والثانية رحضية الحجر بقرب المدينـة وهـذه حققها ياقوت بنفسه وقال : قال عرام ابن الأصبغ أن الرحضية بقرب المدينة وبحذائها قرية الحجر ، والرحضية الثالثة هى التى بقرب الوديعة باليمن الجنوبية بينها وبين مخفر الوديعة التابع للمملكة السعودية ما يقارب الثلاثمائة من الأميال وأهلها يقلبون الضاد ياء فيقولون الرحية لعسر نطقهم بها وقد وقفت عليها فى رحلتى عام ١٣٥٩ هـ وعلى هذا فتحقيق الجاسر فى محله.

الرس

بفتح الراء المشددة ثم السين المشددة ، ذكر أغلب المفسرين بما فيهم البغوى وابن كثير كما قال بذلك ابن عباس رضى الله عنهما أن الرس قرية من قرى قـوم ثمود وقال ابن عباس فى رواية أخرى : ان الرس رسان رس تابع لثمود وقد أهلـكهم الله ورس بفلج اليمامة وهم الذين أرسـل الله اليهم نبيـه خالد بن سنان فعصره ولم يصدقوه فأهلكهم الله ولا زالت قريتهم باقية الى اليوم ، وذكر النويرى أن علياً رضي الله عنه قال ان الرس وأصحابه بأذربيجان وكانوا يعبدون شجرة صنوبر وكانت قراهم على الفرات الخ ما قاله كمـا مر ، لـكن هـذه الرواية أضعف الروايات بسبب عدم اسنادها ، والصحيح أن الرس ببلاد العرب لا ببلاد العجم والله أعلم .

الشــغب

شين مشددة مفتوحة وغين ساكنة وباء ، ضيمة خلف وادى القرى متصلة بديار ثمود ، لا تزال آثارها من اللبن قائمة يأوى اليها رعاة الأغنام وقد تقدم ذكرها فى شعر جميل .

الشوية

وهي بفتح الشين المشددة وكسر الواو مع ياء مشددة مفتوحة وتاء مربوطة قال أبو العباس المبرد وغيره من اللغويين ان كلمة الشوية تطلق على بقية قوم ثمود الذين هلكوا وتجمع الكلمة على (شوايا) ــ حدثه بذلك ابن دريد وأنشده :

فهم شر الشــوايا من ثمود وعوف شر منتعــل وحافى

صفرات الملح

بفتح الصاد والفاء وراء وألف وتاء وهى خلاف قريات الملح، ويطلق عليها اليوم (سبخات الملح) وهي سهول واسعة تبدأ من بئر النــاقة الى سهول المعظم مما يلى معــان بالأردن . غارت فى الأرض حــين نزول العذاب وقــد ذكرها المفسرون وجاءت فى الشعر كما ذكرها القتّال فى قصيدته التى منها :

الى صفرات الملح ليس بجوها أنيس ولا ممن يحل بها شفر

عُراب

بضم العين وهو جبل شاهق على حــدود الحجــاز من جهات الشمال وموقعه بين المدينــة والشــام مما يلى مدائن صالح ..

واسم عراب يطلق أيضاً على موضع بالشام وعلى واد باليمامة وعلى جبل من جبال تهامة ــ لكن (عراب) التابع للمدائن هو المشهور فى الشعر وقد جاء فى شعر أبى عدى العبلى من قصيدة طويلة ــ منها :

هيجت للأجــزاع حول عراب　　واعتاد قلبك عائد الأطراب

عـــــــرنان

بكسر العين وسكون الراء وهو من أودية مدائن صالح متصل بوادى القرى مباشرة كثير الوحوش فيه مرعى للابل ، وتقــيم فيه البدو الرحل أيام المطر وهذا الوادى له ذكريات قديمــة قد ذكرها الشعراء فى قصائدهم من ذلك قصيدة سويد ابن كراع العكلى من شعراء الدولة الأموية ، قال من قصيدة طويلة :

كأن رحــلى على حمش قوائمه　　برمل عرنان أمسى طاوياً وحدا

وتطلق كلمة عرنان على جبل من جبال تهامة أيضاً وعلى بئر من الأحقاف مطمورة .

فــــدك

قرية مشهورة من نواحى خيبر بينها وبين المدينة ست ليال وبينها وبين وادى القرى خمس ليال ، ولم تبعد عن الحجر كثيراً فهى مرتبطة به ارتباطاً قوياً فى القديم ارتباطاً تجاريا وصناعيا وسكان فدك كانوا فى القديم خليطاً من اليهــود وبعض قبــائل العرب من بنى سعد بن بكر وبنى مرة .

قنة الحجر

جبل صغير ليس بالشامخ بحذاء الحجر من ديار ثمود وقد ذكره كثير من الشعراء منهم زهير بن أبى سلمى – من قصيدة مطلعها – لمن الديار بقنة الحجر .

قُنَين

موضع بين الشام والحجاز بقرب الحجر من ديار ثمود ، وبه عيون ونخيل وضبط الكلمة قاف مضمومة ونون مفتوحة وياء ساكنة ونون ، على صيغة التصغير وقد ذكره فى شعره – الصمة القشيرى –

تحمل أهلى من قنين وغادروا
به أهل ليلى حين جيد وأمرعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها
عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

وهذا الموضع لم يذكره ياقوت مع ملاحظة أن هذا الموضع خلاف الموضع الذىعلقعليه الأستاذ عبد السلام هارون واستشهد بأبيات لم يعزها الى أحد فى تحقيقاته وتهميشاته على جبال تهامة فى المجموعة الثامنة من نوادر المخطوطات لعرام بن الأصبغ السلمى . وما ذكره عرام هو مكان بين البصرة والمدينة ، من جهة وادى (الروله) أما ما أشار اليه الأستاذ بأن الأصل ورلان نسبة الى الدابة المعروفة كما ذكر أنه سكنى بنى سليم والصواب هو وادى الروله ويسكنه فى الوقت الحاضر عرب الروله بضم

الراء المشددة وفتح الواو واللام ثم تاء مربوطة وقد وقفت عليه فى رحلتى عام ١٣٥٩ هـ جئته على الابل من طريق قافلة الحاج العراقى ما بين البصرة والمدينة كما جئت قنة الحجر المشار اليها ـ من الشام حتى المدينة المنورة على ظهور الابل مع قافلة الشيخ عبد الله بن غريض أحد زعماء البدو القاطنين بتبوك وقد أشرت الى ذلك فى رحلتى لمدائن صالح مع المذكور كما سيأتى ان شاء الله فى المقارنة والتطبيق وعلى العموم يقول المثل العربى (فما راء كمن سمع) .

مَطلوب

بفتح الميم وسكون الطاء ، بئر عميقة بين الشام والحجاز على أميال من مدائن صالح وماؤها عذب ينزل عليها الحجاج وأصحاب المواشى ، وكان عبد الملك بن مروان يشرب من مائها وينزل عليها اذا أراد السفر الى الحجاز ولها ذكريات جاءت فى قصائد الشعراء منهم العجير بن عبد الله السلولى من شعراء الدولة الأموية ، قال من قصيدة :

لا نوم الا غرار العين ساهرة ان لم أروع بغيظ أهل مطلوب

وتطلق الكلمة (مطلوب) على عدة أماكن وجبال ذكرها ياقوت بشواهدها خلاف البئر المذكورة التى يضرب بها المثل فى العمق وطول الرشاء وعذوبة الماء وكونها تابعة لديار ثمود .. الخ .

النعف

اسم قرية فى طريق الحجر بين العلا وتبوك وبها مسجد أثرى قديم يسمى مسجد (كويكب) ، وكويكب من المساجد الأثرية القديمة التى أسست فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واصل النعف ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى ، وبهذا الموضع واد فسيح مررت به فى رحلتى عام ١٣٦٠ هـ يدعى وادى كويكب ، وهذا النعف يدعى نعف كويكب سمى باسم المسجد أو المسجد به ، له ذكريات وشهرة وقد ذكره الشعراء فى شعرهم وأكثرهم ذكراً له جميل بثينة ، وقد أنشد له الجاحظ من قصيدة :

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب
رهينة رمس بين ترب وجندل

ومع الأسف ان ياقوت صاحب المعجم لم يذكر هذا النعف ولا شاهده ولعله لم يقف عليه مع أنه ذكر نعف سويقة ونعف مياسر ونعف وداع مع الشواهد .

وابش

واو وألف ثم باء مكسورة وشين ، وادى مشهور بقرب الحجر، على طريق الشام ، وبه جبل مشهور بهذا الاسم ، يحاذى وادى القرى عند مسيرك الى الشام وله ذكر فى الشعر وبخاصة جميل صاحب بثينة ، قال من قصيدة طويلة تعد من أشهر القصائد جاهلية واسلاما والتى منها :

روضة ذات حنوة وخزامى جاد فيها الربيع من سبله
بين عليـــاء وابش فبـلى فالغميم الذى الى جبـله

و (بلى) تل بجانب وابش و (الغميم) موضع معروف بالحجاز ، ولم يقف ياقوت على شواهد لهذا الوادى وأعنى به وادى وابش وجبله حيث أن ياقوت لم يذكر عنهما شيئاً الا جملة واحدة وأسندها الى غيره ولم يوضح موقعه بالضبط وفيما وقفنا عليه كفاية .

وادى برمة

اسم البلد برمة بكسر الباء وسكون الراء وهى غير برمة التى بمصر . أما هذه فبين خيبر ووادى القرى وعلى هذا فتكون فى القديم من ديار ثمود وبها واد مخصب ذكره الشعراء والرجاز فمن ذلك :

ببطن وادى برمة المســـتنجل

وادى الحجـر

وهو الوادى الطويل الفسيح الذى يمر من بين الجبال المقطعة الى آخر الحد الفاصل بين الجبال وسهول الأردن ، وكانت تسكن بجانبه محبوبة مجنون ليلى ـ ليلى بنت مهدى العامرية لما رحل بها زوجها ورد بن محمد الثقفى فنزلت بقرب الحجر مع زوجها مدة طويلة فلحقها قيس وجلس على بعد منها بحيث يراها وربما

يزورها وتزوره فأنشد قصيدته النونية المشهورة التي منهـا الشاهد :

نظـرت ووادى الحجـــر بيني وبينهـــا
فـــرد الي الطـــرف بعـــد مـــكاني

وادى الدوم

بتشديد الدال المفتوحة وتسكين الواو ثم ميم وهذا الوادى شمالى خيبر الى قبليها وهو يفصل بين خيبر والعوارض ، وله شهرة في الربيـع تنزل عليه البدو الرحل ينصبون خـدورهم ويأوون به مدة طويلة حيث تنبت به أعشاب جميلة صالحة لرعى الابل كما أن للشعراء ذكريات به ، ومن أشهر من وصفه وذكره في شـعره جميل بثينة وكثير عزة ومن ذلك قصـيدة كثير التي انشدها بحضرة جميل فى وادى الدوم المذكور التي منها :

وآخر عهـــدى منـــك يـــوم لقيتني
بأســـفل وادى الدوم والثوب يغســـل

وهذا الوادى لم يذكره ياقـوت الا مقتضـبأ ولم يأت له بشواهد .

وادى القرى

وتسمى اليوم (بالعلا) بضم العين ثم لام وألف من غير همزة، وقد رأيت أن أذكرها لأن أكثر المؤرخين والمفسرين يعدونها من

مدائن صالح وهي فى الحقيقة جزء منها لأنها متصلة بها اتصــالا تاماً لا يفصل بينها وبين المدائن حدود ولا جبال بل ان الجبال متصلة ببعض والأودية والمسافة بينها وبين المدائن نصف ميل فقط والراكب على البعير يصلها فى بضع ساعات ، وهى عبارة عن واد فسيح بين جبال ، كثير العيــون وموقعهــا الجغرافى بين الشام والحجاز وهى ملاصقة للحجر بديار ثمود وأحد أوديتها يتصل بتيماء وخيبر ، وسكانها خليط من عرب الشمال والحجاز وبعض أهل القصــيم وحائل ومنقســمة الى حارتين (الشتيق) بالشين المشددة المكسورة ثم (الحلف) بكسر الحــاء وبهــا نخيل وزروع وعيون كثيرة وجوها جميل وكان لها ماض حافل وينسب اليها عدد من الأدباء ، منهم عمر الوادى الأديب المشهور والملحن المطــرب فى العصر الأموي ، وسبب تسميتها بوادى القــرى أن الوادى من أوله الى آخره مشتمل على قرى كثيرة ومياه وبساتين . أما اليوم فهى كما ذكرنا آنفاً تشتمل على الحلف والشقيق وبها محطة السكة الحديدية التى تصل الشام بالحجاز ، وبمحطة السكة عمــارات وبساتين تابعــة لامارة البلد ، وكانت وادى القرى فى القديم تشتمل على الشيء الــكثير من النخيل والفواكه والقرى لكنها اليوم عبارة عن رسوم وآثار ماضية وليس بها سوى المياه الكثيرة ، قال المؤرخون : ان الحجر ووادى القرى منازل قضاعة وجهينة وعذرة وبلى ، وكانت هذه البلدان قديماً تابعة لثمود الذين هلكوا وآثارهم باقية الى الآن ثم نزلها بعــدهم اليهــود فاستخرجوا من كنوزها وحفروا أرضها حتى طلعت عيونها فغرسوا النخل وزرعوا واستوطنوا ثم نزلت عليهم قبائل قضاعة فعقدوا بينهم حلفاً على أن يعطوهم من خراج البلد ويطعموهم على أن

يمنعوهم من المغيرين من قضاعة التي تسكن الشام وغيرها من القبائل .

ومن قصصها التاريخيـة أن معـاوية رضي الله عنه مر في خلافته بها فتلا قوله تعالى (أتتركون فيما هاهنا آمنين . في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) قال هذه الآيات نزلت في أهل هذه البـلد وهي بلاد ثمود فأين العيون ؟ فقـال له رجل جيولوجي : صدق الله العظيم أتحب يا أمير المؤمنين أن أستخرج العيون قال نعم فاستخرج ثمانين عيناً فقال معاوية : الله أصدق من معاوية .

وادي قُرح

بضم القاف وسكون الراء ثم حاء ، واد فسيح يبدأ من وادي القرى الى نهاية الحجر من ديار ثمود ، ثم هناك بعض الجبال في الحجر تدعى بالقرح ، وذكر ياقوت أن القرح هو واد أو سوق بوادي القرى وهو قصبة البلد ، ونحن بصدد الوادي الذي يتصل بالحجر ، ووادي القرى كما أشرنا اليه سابقاً ، وهذا الوادي له شهرة وذكريات وذكره الشعراء ومنهم جميل بن معمر ، من قصيدة :

نحن منعنا ذا القـــرى من عـــدونا

وعـــذرة اذ تلقى يهـــوداً ويعشرا

منعناه من عليا معد وأتم
سفاسيف روح بين قرح وخيبرا

وهو يتصل بخيبر أيضاً ، وجاء فى الأثر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى مسجداً فى صعيد القرح قال فعلمنا مصلاه بعظم وأحجار فهو المسجد الذى يصلى فيه أهل وادى القرى والى هذا الوادى أشار عبد الله بن رواحة رضى الله عنه من قصيدة :

جلبنا الخيل من آجام قرح
يغر من الحشيش لها العكوم

وهناك قرية بحضرموت اسمها القرح أيضاً وقد أهلك الله بها قوم عاد والى ذلك أشار أمية بن أبى اصلت من قصيدة :

أهل قرح بها قد أمسوا ثغورا

وسوق وادى القرى كان يسمى بالقرح ، وله شهرة كبيرة كان يزاحم أسواق العرب فى الجاهلية ، وكان يرد اليه اللصوص من الأعراب والعدائين وله شهرة فى ذلك الحين قال بعض بنى أسد من قصيدة :

تتابعن فى الأقران حتى حسبتها
بقرح وقد ألقين كل جنين

ولما رأيت التجر قد عصبوا بها
مساومة خفت بهن يمينى

المعالم والآثار

يرجع الفضل فى الحصول على كثير من النقوش العربية الشمالية الى أمثــال « دوتى » و « هوبر » و « أويتنج » الذين غامروا بحياتهم وقاموا برحلات شاقة فى شمال غرب بلاد العرب ، فى الفترة الممتدة من ١٨٧٦ ـ ١٨٨٤ م وقد بلغ ثلاثتهم « حايل » فى شمال قلب الجزيرة . وفيما بعد لمَّا عُبِّدَ طريق الحجــاج الواقع فى الجهة الشمالية الغربية وأصبح صالحاً للسير فيه بفضل سكة حديد الحجــاز ، استطاع أمثال « جوسن » و « سافيناك » سنة ١٩١٠ م الوصول الى خرائب الحجر (مدائن صالح) والعلا وتيماء(١) كما زار المنطقة « موسل » عام ١٩١٧م وفيلبى عام ١٩٥١م وألَّف كتابه « أرض مدين » الذى ترجم بعنوان «أرض الأنبياء» ، كما زارها الأساتذة الجاسر ، والأنصارى ، وعادل العيَّاش ، وغيرهم من المؤرخين وخبراء الآثار من وزارة المعارف وبعض الجامعــات الســعودية ، كما قامت بعثة من المستشرقين الأمريكان بزيارتها عام ١٩٦٢م صحبهم العالم الدكتور « محمود الغول » ... وممن صوَّر الكتابات الثمودية وكتب عنها «أ. جام» A. JAMM فى بحثه « دراسات ثمودية » باللغة الانجليزية طبع « واشنطن » ١٩٦٧م كما يوجد بمتحف « جدة » وجامعة الرياض نقوش وآثار مختلفة عن هذه المنطقة . ومن أعظم الآثار « حجر تيماء » الشــهير الذى ابتاعه « هوبر » من أحــد شــيوخ تيماء

---

(١) « ديتلف نلسون » ص ٣٨ « التاريخ العربى القديم » .

وأرسله الى متحف « اللوفر » بباريس عام ١٨٨٣م وهو مكتوب بالآرامية ، ويرجع تاريخه الى القرن الخامس ق.م. وفيه أن أحد الكهنة استقدم الهاً جديداً الى تيماء يدعى « صلم هجم » فأنشأ لهيكله وقفاً وعيّن له كهانة وراثية »(١) ولا تزال بقايا معبد « صلم » فى قمة جبل « غنيم » الذى يطل على تيماء من الناحية الجنوبية الشرقية ، حيث شاهد فيلبي .. من بين الصور المنقوشة على الصخور « صورة رأس بيضاوى الشكل لا لحية له واسع الجبهة يبرز من طرفيها قرنان فوق أذنين واسعتين ... ويرجح أنها صورة « الأله صلم » الذى يُرمز له برأس ثور ، هذا الرمز الذى نجده منقوشاً على بعض الكتابات الثمودية .

وقد آن لى بعد هذا التمهيد الوجيز أن أتحدث عن المعالم والآثار التى شاهدتها :

في كل جبل مسكن :

انك اذا أقبلت على هذه الديار ترى أنك بين آلاف الجبال المنفصلة عن بعضها بشكل هندسى رائع ، حتى ليخيل اليك أنك تمشى بين شوارع من جبال بعضها أحمر وبعضها رمادى وغرابيب سود ، كل جبل من هذه الجبال منحوت نحتاً فنياً رائعاً بحيث أن كل جبل يعبر عن سكنى عائلة مستقلة عن الأخرى ثم ترى عند مدخل الجبل دهليزاً مفرغاً بالأيدى الجبارة الناحتة ، ثم ترى سلماً من الصخر كالمصعد تصعد به الى بعض المجالس الجبلية الجميلة وبعض المصاعد يوصلك الى غرف واسعة وأمامها عرصة

---

(١) تاريخ العرب لفيليب حتى ص ٥٠ .

لها مقدمة جبلية فيها نحت كالشباك تطل منه على نوافذ صغيرة ، ويدخل من هــذه النوافذ نور وشمس وريح حتى أن الهواء اذا انطلق بشدة فى جوف هذه الجبال خلته أصواتاً موسيقية وألحـاناً غريبة .

ثم انك ترى على الأبواب ونوافذ معظم الجبال سواء منهـا النصفية أو الأثالث نقوشاً قديمة الحفر وبعض الكتابة الثمودية كأنها توحى باسم صاحب الجبل المنحوت وتاريخ نحته وأفـراد عائلته .

جبــل شــاهق

كما أنك ترى عند مدخل المدينة مما يلى الشام بعد اجتيازك لسهول أودية (المعظم) التى بها محطة سكة حديدية قديمة ، ترى جبلا شامخاً رفيعاً مهفهف الجوانب منفصلا عن بقية الجبــال أملس القمة أحمر اللون وفى تسلقه صعوبة اذ لا يتسلقه الا الرياضى المتمرن القدير ، ويسمى هذا الجبل العملاق بجبـل الحوار أى فصيل الناقة التى عقرها قوم صالح عليه السلام حينما هرب عنهـا عندما طعنهـا قدار بن ســالف الشقي الأول برمحه الطويل وكشف غن عرقوبها بسيفه البتار .

نقوش فى هذا الجبل

قد وقف بنا المسير عند سفح هذا الجبل العظيم الخالد وكان معى من الرفاق الشيخ عبد الله بن غريض ورفاقه وهو الذى قال لى ان هذا الجبل اسمه (الحوار) وسرد لى قصة خيالية عنه وعما يراه الرعاة والحداءون للابل عندما يعبرون من حول هذا

الجبل مما يسمعونه من زجل الجن وعزف العفاريت ، طبعاً ترهات لا يصدقها العقل لكن البدو يؤمنون بها كأنها عقيدة راسخة مطبوعة في مخيلتهم ، لم نستطع أن نتسلق هذا الجبل الا بعد السفح بقليل وكل ما هنالك أننا استطعنا أن نصور بعض المناظر منه ومع ارتفاعه لم تستطع آلة التصوير الا أن تصور المناظر النصفية منه والحروف المنقوشة عليه التى مر عليها آلاف السنين أما سفحه فلم تكن فيه مغارات صالحة للولوج فيه كما أن بسفحه أرضاً متحجرة تنبىء بعمارة كانت قريبة منه غاصت عند الرجفة ونزول العذاب ثم قلت لبقية الرفاق ان هذا الجبل كانت تسميه العرب (القارة) وقد ضربت به الأمثال وقالت (أنصف القارة من راماها) وقد قال بذلك أغلب المفسرين وأهل الحديث كما أن بعضهم يسمى هذا الجبل (صورا) فكيف المقارنة بين الأوجه الثلاثة (قارة . صور . حوار) فقال الرفاق من مؤرخى الصحراء انا لا نعرف الا اسم الحوار فأثبته فى هذا المؤلف بهذا الاسم ويجب أن يعتمد لأنه يعتبر كناسخ للاسمين الأول والثانى كما يجب علينا الاحتفاظ باسم الجبلين المسميين بقارة وصور حتى نهتدى عليهما وعند فقدهما نعتمد جبل (الحوار) كما سمعناه وشاهدناه وكما يعتقد ، أن من يجيد قراءة الحروف الثمودية القديمة يمكنه أن يصل الى نتيجة والله أعلم .

الوادى المشؤوم وبئر الناقة

وفى الحجر على بعد مرحلتين واد فسيح يتخلله شعب أسود بين جبلين أسودين عظيمين طويلين على شكل الهرمين ، هذا الشعب يسمى (بالمزحم) بفتح الميم وسكون الزاي وفتح الحاء

،...ها ميم ، .هذا الوادى المشؤوم موضع ارتكاب الجريمة المنكرة (..فر ناقة الله) وآية رسالة صالح عليه السلام وهذا الاسم .،، سمية البـدو ورعاة الأغنام ولم أجـده فى الكتب القـديمة و..الت البدو عن سبب تسميتهم هذا الشعب بهذا الاسم فقال ،..هم سمعناه من آبائنا وهم سمعوه من الأجداد بالتوارث وقد ..الناهم كما سألتنا فقـالوا : لأن النـاقة كانت عظيمة تزاحم الـ.. والمواشى فى هذا الشعب اذا مرت .

كما أن بالقرب من هذا الوادى الفسيح بئر مطمورة ، وعلى ،. .خطوات منـه بئر عظيمة تسمى لليوم ببئر الناقة ، ماؤها ا. ..ب ماء فى ديار ثمود ولعلهـا هى التى كانت السبب فى الـ .اع بين القوم الضـالين والقوم المسلمين ممن آمن بصـالح ..يه السلام .

ملوحة الماء بعد العذاب

ويوجد على بعد ثلاث مراحل من الحجر أودية فسيحة مسبخة او..ـا أبيض ، وذلك من الملـوحة والأجونة والعياذ بالله وهى ... بوضوح الى العيون التى غارت فى جوف هذه الديار حين ..ول العذاب على القوم .

الجبـال الشامخة

اننا مررنا بمائة وثمانين جبلا كلها شامخة عدا آلاف الجبال .. (النصفية) وهى التى غاص نصفها فى جوف الأرض ولم ...، لها سفوح ومن (الأثالث) وهى التى يعبر كل جبل منها .. سكنى عائلة منفردة ومنحوث من كل جبل منها ما يقارب

ثلثه والباقى لم يفرغ وهذه أيضاً معظمها غاص فى الأرض فلا ترى الا قممها وجزءاً بسيطاً منها وبعضها على ما هو عليه .

شـكل محاريب

وعلى بعـد أربعـة أميـال من الحجـر مما يلى الشام واد فسيح بين جبـال وأرض هـذا الوادى العظيم مفروشـة بالحجـر الزلط البيضاوى اللون يطلق عليه البدو الرحل اسـم وادى (الأنبياء) هذا الوادى مقسم الى دوائر مربعة محددة بهذه الحصباء الجميلة التى عند احتكاكها يخرج الشرر فتضيء لك معالم الطريق ، أوقد بها النـار وفى وسط هـذه المربعات الزلطيـة دائرة محرابية معدة للصلاة يطلق عليها رعاة الغنم اسم (محاريب صالح) عليه السلام .

مؤرخ صحراوى يقر الأسماء

وأحب أن ألفت نظـر القراء الفضـلاء الى أن معظم هذه الأسماء دونتها من أفواه عرب الصحراء والرعاة الذين يرتادون هذه الأماكن وغالباً ما يسكنون بجوارها فى أيام الربيع وهطول الأمطار حيث ينصبون بيوتهم المتنقلة المتخيمة ويطلقون مواشيهم لترعى فى الأعشاب الربيعية ، وقد وافق على هذه الأسماء رجل كبير فاضـل كان معنا فى هذه الرحلة الممتعة التى زادت على الشهرين ، واسم هذا المؤرخ الصحراوى (عبد الله بن غريض) مصغر غريض وهو من زعماء بعض قبائل الشمال وتاجر أغنام وابل وفى الوقت نفسه شـاعر بدوى فطرى حيث يشترك فى الأناشيد والأهازيج التى يهزج بها البدو الرحل فى الحفلات التى

كانت تقام لنا عندما نحل ضيوفاً على أحد هذه البيوت الصحراوية
كما أنه مؤرخ صحراوى ويفهم كل قطعة من تلك الأودية
والصحارى والأمكنة التى عفت آثارها كما يعرف أسماء الجبال
كلها من الشام الى المدينة المنورة ومحترم عند أمراء آل سعود
ومن حين ما بدأنا رحلتنا هذه التي بدأت من معان حتى المدينة
كان موضع الحفاوة من كل أمير ، وأولها (الحاج) التى هى تحت
الحكم السعودى وكان أميرها اذ ذاك الأمير (أحمد الأشيقح) الذى
أكرم وفادتنا وبعث بابلنا الى تبوك وأراحنا من وعثاء السفر
حيث أمر باركابنا جميعاً فى سيارة الحدود الى تبوك برفقته لأنه
كان على أهبة السفر اليها فاسترحنا من وعورة الطريق التى لم
يتم تعبيدها آنذاك وكان معنا فى السيارة بعض خاصته ، ولما
قدمنا تبوك أكرم وفادتنا أميرها آنذاك الأمير السعودى (محمد بن
سلطان) الذى أقام لنا نقيعة عظيمة حضرها الأمير وصحبه ، أما
امير العلا فكان (ابن هذيان) هو المكرم المتفضل حيث كان
يكرمنا كل يوم حينما نرحل الى ديار ثمود ويزودنا بكل
ما نحتاج اليه علاوة على ما عندنا من ميرة ، وكنا نأتى فى المساء
مع ابن غريض وصحبه وجميع رفاقنا فى الرحلة فنجد الموائد
قد بسطت والكرم السعودي فى انتظارنا لأن المبيت بأرض ثمود
ممنوع شرعاً ولا نستطيع المكث بها ليلا لظلامها وعدم تمكننا
من شرب مياهها لذلك تجدنا مولعين بالاياب الى (العلا) عندما
تغيب شمس الأصيل .

وعلاوة على هذا الكرم والعون نجد أن عرب الصحراء من
الشام الى المدينة يكرمونا ويقدمون لنا الأرانب والظباء التى
يصطادونها فنشوى ما نشتهيه ونتصدق بالباقى واذا دعينا الى

خباء معمد ذبح الخروف على باب الخباء وعمل الثريد والعصيد مع ألبان النياق والقهوة العربية ونفذت كل بنود اكرام الضيف المباحة ثم نمضي ليلتنا كلها في سعادة وفرح وأناشيد بدوية ورقص عربي بالطبول والصنج والعزف على الربابة ، أما قبائل الحويطات وبني عطية فكنا اذا نزلنا على خباء من أخبيتهم نلمس ألوان الكرم والاحترام حيث يقف المضيف على باب الخباء ولا يأكل مع الضيف لا هو ولا أولاده ولا أقرباؤه بل يقفون على رءوس الضيوف باللبن الرائب الجميل والماء البارد والمحادثة اللطيفة والنكت المشهية للطعام حتى اذا ما فرغ الضيوف من تناول الطعام يصب المضيف الماء على أيدي ضيوفه ويحييهم ويبش في وجوههم ، ثم يستأذن ضيفه لتناول الطعام فيجلس على المائدة ومعه أهل الخباء ومن دعي على شرف الضيوف فيأكلون ما تبقى من اللحم والأرز أو الثريد ، وكيفية تناولهم الأرز غريبة فهم يجعلون الأرز على شكل (كرين) أو مفائل ويهزونه في أيديهم هزاً شديداً ثم يفوقونه نحو أفواههم ويقذفون به الى داخل الفم كأنما أحكموا اصابة هدف فترى الأرز يتطاير نحو أفواههم كما يتطاير الشرر حيث يأكلون بشراهة عجيبة ولا يتحدثون على الطعام حتى اذا ما فرغوا من التناول مسحوا أيديهم في شعورهم التي على رءوسهم مسحاً جيداً حتى لا يبقى للزهومة(١) أثر في أيديهم ثم يقبلون على

---

(١) الزهومة ما علق في اليد من شحم أو دهن والزهمة بضم الزاي هي الشحم وفي المثل العربي (في بطن زهمان زاده) مثل يضرب للرجل الذي يدعى الى الغذاء وهو شبعان .

ضيوفهم مسلمين من جديد ومقبلين الناصية أو الرءوس ثم تدار القهوة العربية التى تصنع من البن والهل ويبدأ صاحب الخباء المضيف بالحديث مع الضيف الى ما بعد ثلث الليل أو نصفه حيث يستعرض المضيف قصة حياته فيعرض لى ضيفه ما قاساه فى أسفاره أو ما حصل عليه من خير وشر مدة لا تقل عن الساعة ثم يأخذ استراحة ويبدأ الضيف فى الحديث فينصت المضيف لضيفه مع الاشارة باليد والعين والغمز ولترجيع لآخر كل كلمة فمثلا اذا كان آخر جملتك كلمة (غنم قال المضيف (غنم) واذا كان آخرها كلمة (ألم) قال المضيف كلمة (ألم) الخ وهو نوع حديث من المحادثة الصحراوية يلفت النظر ، ثم يخرج الضيوف والمضيفون الى خارج الخباء ويحضرون الطبول ويوقدون النار فى وسط الوادى ويبعثون بالرسل لى المغنين والملحنين من البدو فيحضرون بسرعة مذهلة ويبدءون فى الرقص والغناء الى التعريس ثم يرجعون الى بيوتهم ويرجع الضيوف الى خباء الضيافة ليناموا برهة وجيزة من آخر الليل اذا طلب الضيوف النوم والا فلا نوم ولا استراحة بل حديث وأناشيد وخبز مملول(١) .

وعندما ينصدع الاصباح وينبلج ضوء الفجر يحضرون الماء

---

(١) أى خبزة فى الملة والملة الرماد الحار ، يقشعون منه الجمر ثم يضعون القرص عليه ويسترونه برماد حار أيضا ثم من فوقه الجمر والرمل ثم يخرجونه بعد ساعة وكأنه الورد الأحمر ، وأحسن الطهي ما كان مملولا اذا أتقنه الحاذق بالملة قال طرفة :

فظل الاماء يمتللن حوارها ... ويسعى علينا بالسديف المسرهد

فى الأقداح للطهور والوضوء والصلاة ثم احضار طعام الافطار من عسل ولبن وخبز مبسوس بالسمن أو لزبد بعد مله وتوريده ثم يحضرون طبقا من التمور الجيدة وتحضر القصعة العظيمة فى صحن الخباء حيث يثرد العيش المورد ولخبوز فى الملة ويصب عليه نوع جيد من السمن والعسل و يلتجميع لتاً جيداً ثم يقول رئيس الخبـاء وهو المضيف لضيوفه : بـاكم الله على ما رزق كلوا هنيئاً وسامحونا فى القصور .

مكثنا على هذه الحالة الجميلة مدة ثلاثين يوماً لمسنا خلالهـا ألواناً من العجائب والعادات والتقاليد .

وادى الرجم

مررنا فى رحلتنا هذه بعد ما اجتز سهول (هدية) وهى بفتح الهاء وكسر الدال وفتح الياء المشدة بعدها التاء المربوطة المنقلبة هاء فى الوقف على وزن عطية وهى اسم لمحطة من محطات السكة الحديدية الحجازية المتقلعة القضبان والتى لا زال بنيان العثمانيين موجوداً بها والذى أصبح الآن مربضاً للأغنام وعطنا للابل كما لا زال اسم هدية موجـوداً كتب محطات السـكة الحديدية الآن(١) .

بعد ما اجتزنا هذه السهول سهول هدية أقبلنا على واد عظيم

---

(١) هدية اسم للمحطة واسم للسهول التى بعد وادى المعظم قبل العلا ـ وهنا هدية ثانية ما بين العلا والمدينة المنورلكنها اسم لواد صغير على بعد مرحلتين من تبوك وليست محطة للسكة الحديدية فليلاحظ ذلك .

قبل (الحجر) بثلاث مراحل تقريباً وبالضبط من قرب محراب صالح .

التقينا بهذا الوادى الفسيح فوجدنا أرضه مفروشة بالحجارة التي تشبه أحجار الحرار وهي فى حجم البيضة ، فقال لى الرفاق وفى مقدمتهم الشيخ ابن غريض هذا وادى الرجم وهو الذى رجمت فيه الملائكة ، التسعة الأرهاط الذين ذكرهم الله فى الآية الكريمة : (وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الأرض ولا يصلحون) وقصتهم قد مرت فى تفسير الآية الكريمة .

الجبال وأنواعها

فى الحجـــر وقـــرب المزحم (وادى الرجم) ومساجد بديار ثمود وبالقرب من أودية (المعظم)(١) و (هدية) جبال مختلفة الأشكال والأحجام والنحت والنقش والاسم فمنها (الأثالث) وهى معظم ما فى وادى الحجر من جبال منحوتة ومفرغة تفريغاً فنياً بحيث انها تصلح للسكنى والنزهة والتحصن والوقاية وهذه هى التى ذكرها المفسرون والمؤرخون واسمها موجود فى الكتب ولا زالت باقية الى هذه اللحظة وبعضها ما يسمى بالأناصف أو الجبال النصفية وهى من تسمية البدو فى وقتنا الحاضر وسنأتى بتسط منها وهذه لم نجد أسماءها فى الكتب القديمة الا بالمقارنة فقط كما سيأتى وبعضها شاهق شامخ لم تمسسه الأيدى الناحتة وما ندرى لماذا لم ينحتوها ألعلم قوم ثمود بما فى جوف هـــذه

---

(١) المعظم أيضاً معظمان ــ المشهور منهما الوادى الكبير الذى يفصل تبوك عن مدائن صالح وبه محطة حديدية وبئر مطمورة ــ والمعظم الثانى شعب صغير بين جبال (صرخود) و (دحدر) .

الجبال من كنوز ومعادن وتنقصهم الخبرة الكافية لاستثمارها أم لعدم قدرتهم على نحتها ونقشها وهذا مما يستبعد طبعاً ، وبعضها منفرد ومسمى باسمه الأول كأنه علم من الأعلام لا يحتاج الى استفسار ولنأت الآن بقسم من هذه الجبال التى وقفنا عليها وسجلنا أسماءها من أفواه البدو المقيمين حولها والتقطنا لها بعض الصور فمنها :

أولا ـ (جبل الذهب) : وهذا الجبل لم أقف على اسمه فى الكتب القديمة ، انما البدو المقيمون حوله يسمونه (جبل الذهب) بينه وبين جبل الحوار ٣٥ جبلا مما يلى جبل (نهود) بضم النون والهاء ، وارتفاعه أكثر من ألف قدم وهو متصل بسلسلة صغيرة من الجبال المنحوتة وهو فى وسطها كأنه سنام بعير ضخم وفى هذا الجبل عروق ملونة كأنها أسلاك كهربائية عارية ولعل لتسميته بالذهب بعض الشىء من الصحة بدليل عدم نحته كباقى الجبال مع العلم بأنه جبل عظيم له قيمته الجبلية والحجرية الصلبة كما أنه صالح للنحت والحفر والسكنى .

ثانيا : (جبل الطيور) : وهو على بعد نصف ميل من المزحم مكان عقر الناقة ، هذا الجبل أيضاً غير منحوت وهو أعلى من جبل الذهب بقليل وترى عليه تماثيل الطيور ، وعندما تسلقناه وجدنا بقمته بعض الحفر الحشرجية(١) المنحوتة بشكل جذاب

---

(١) نسبة الى الحشرج وهو ما يشبه الحفرة أو النقرة فى الجبل وتمتلأ من ماء الأمطار وأصل الحشرج الذى على وزن جعفر معناه جوز الهند الفاخر ثم استعير للنقرة فى الجبل التى تملأ من ماء السماء بجامع لذة الشرب من هاتين النقرتين .

وهذه الحفر تملأ ماء عند هطول الأمطار وهو أيضاً لم يفرغ ولم ينحت جوفه للسكنى ، فتجد الطيور والمكاكى والوحوش الكاسرة ترد هذه المشربات الطبيعية الجميلة .

كما يوجد على حافة كل مشربة بعض الأعشاب الجميلة التى تشبه أزهارها ثمر أعشــاب الثغامة(١) وبأسفله نحت بسيط يسع قطيعاً من الغنم وليس به مقاعد للاستراحة .

ثالثاً ـ (جبل صرخود) : من أسماء البدو ولا يوجد له ذكر فى كتب الجغرافيا لا القديمة ولا الحديثة وهو منحوت من عدة نواحي ، من أطرافه الأربعة وكل نحت يكفى لجــلوس أربعــة أشخاص وعلى ما يظهر أنه معد لعبادة الكفار لأن فى كل مغارة تمثال صخرى يشبه أصنام الوثنيين لكنه محفور فى نفس الجبل.

رابعا ـ (جبل بلاعم) : بفتح الباء واللام بعدها الف ثم عين مكسورة وميم وهو من أسماء البدو ، وهذا الجبل ليس به نحت كبقية الجبال المنحوتة المعدة للسكنى ـ الا فى قمته فتجــد مغارة صغيرة لا تصلح الا للاستظلال فقط أو للوقاية من الأمطار ولا نعلم سبباً لتسميته بهذا الاسم ، وعدم نحته يدل على أنه ذو قيمة معدنية كما يقول بعض خبراء البدو هناك .

خامساً ـ (جبل دحدر) : بفتح الدال وســكون الحــاء وفتح الدال الثانية بعدها راء ، وهو من تسمية البدو أيضاً ، وهــو

---

(١) الثغامة بضم الثاء وهو نبت له زهر أبيض يشبه عناقيد الكروم لكنه ناصع البياض وفى الأثر ـ جيىء بابى قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما يوم الفتح الى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه كالثغامة الخ الحديث الصحيح .

جبل شامخ قريب من جبل القـارة أو الحوار يفصل بينهما جبل أسود صغير منفصل عن الجبلين وليس به نحت مطلقاً ولعله من الجبـال التي لا زالت محتفظة بكنوزها المعدنيـة أو غيرها من الآثار .

سادساً ـ (جبل الكهوف) : وهو اسم حديث لم أقف عليه في الكتب القديمة الا من أفواه البدو وهذا الجبل بينه وبين جبـل (شوغر) ١٣ جبلا مقطوعة عن بعضها وهو عظيم وشامخ وبه ١٦ مغارة وكل مغارة منحوتة بشكل مربع وعرصتها تسع لجلوس عشرة رجال على ما يظهر أن هذا الجبل مهيأ لنزول الضيوف لأن في كل مغارة من هذه المغارات صخرة ملساء يضع عليها الضيوف سواعدهم للاستراحة كأنها متكأ ، وشكل هذا الجبل رائع جذاب كأنه دار ضيافة بالنسبة للزمن الحاضر ، وهذا من الجبال التي يمكن أن يبنى بسفحها مظلة للجلوس ونافورة ماء أرتوازية ، لأن الوادى الجاثم عليه هذا الجبـل العملاق خصب وذو أعشـاب كثيفة تصلح لرعى المواشي وبعضها ذات زهور عطرية .

سابعاً ـ (جبل بكرة) : بفتح الباء وسكون الكاف وفتـح الراء بعدها تاء مربوطة وهو من تسمية البدو أيضاً ، وبينه وبين وادى الملح وسهول فصلان(١) المجاورة لوادى هدية ، بضعة أميال

---

(١) بفتح الفاء وسكون الصاد ثم لام مفتوحة وألف ونون على وزن فعلان ـ وهذا الجبل عبارة عن كتل صخرية ملتزقة ببعضها وهي التي نتجت وخرجت منها آية الله ناقة صالح عليه السلام وهي على بعد مرحلتين من محطة الحجـر وتقع في آخره وفي وسط قرية الناجية الغائرة في الأرض ويعلو الملح الطبقة الأولى من وجه أرضها ويلاحظ أنها في آخر السهول المشار اليها وهي الى=

تقريباً وهو عبارة عن كتلة صخرية تشبه فى مجموعها جبلا صغيراً كأنه ذو قروح ملتئمة مفروزة فيه عروق جبلية مسودة وهذه العروق تشبه خط اللحام الذى يلحم أو يلزق خطين عمودين أو ما يشبه ذلك ، وبعض رعاة المواشى يسمون هذا الجبل (بالعبرة) بالاضافة الى اسمه الأول والعبرة بكسر العين وسكون الباء وفتح الراء ثم تاء مربوطة .

وهذا الجبل من العبر الظاهرة للعيان ولو سألت أي بدوى هناك ما هذا الجبل ؟ لقال لك ببساطة ان هذا الجبل الصغير الذى يشبه الكتل الصخرية هو الذى خرجت منه ناقة الله عبرة وآية لقوم ثمود ومعجزة لرسول الله صالح عليه السلام نعم انه من آيات الله فلو تأملته لوجدت أن بين كل صخرة وأخرى ما يشبه العمود المسلح فى زماننا هذا وليس به أى مغارة ولا نحت .

ثامناً ــ (جبل جنيدع) : يتوسط مجموعة من الجبال النصفية المنحوتة وهو فى وسطها كالأكمة العظيمة أو كالقصر الكبير ويتوسط مجموعة من الجبال المسماة (بالأثالث) وهى من الجبال المذكورة فى تاريخ مدائن صالح وموقعه فى وادى (تبر) بكسر التاء بعدها باء ساكنة وراء ، من أرض الحجر ولعل لتسميته بالجنيدع بعض الصحة أو بعض الاقتباس من اسم (جندع) زعيم المؤمنين وأميرهم آنذاك ، وهو أول من آمن بصالح عليه السلام ولعل المجموعة المجاورة له من (الأثالث) خاصة

= الحدود الشامية أقرب وتقع في أول مرحلة اذا ولجت الحجر من طريق الشام وأما اذا دخلت من ناحية العلا فتسير مرحلتين على الابل وتقطع مدينة الحجر عرضاً .

بالمؤمنين المستضعفين فى ذلك الوقت وهذه المجموعة بما فيها هذا العملاق يغلب عليها اللون الأحمر القاتم ، وكل جبل منها فيه ثلاث مغارات ماعدا جنيدعا ففيه سبع مغارات كل مغارة مساحة داخل أرضها ثلاثة أذرع تقريباً ومما يدل على أن هذه المجموعة الجبلية للمؤمنين خاصة ، انك لا تجد فيها أى تمثال أو صنم ، كذلك أبواب هذه المغارات واسعة ولا تضايقك فى الدخول بخلاف مغارات الكفار فانها ضـــيقة المداخل وبدون انحناء أو حبو لا يمكنك الدخول فيها .

ووجه الغرابة فى هذه المجموعة من الجبال أنها تبعد عن منطقة العذاب بنحو ميلين أو أكثر قليلا ، وكأن العذاب لم يمر بها أو الرجفة ، فجبالها كلها بارزة على سطح الأرض لم يتجلجل ثلثها أو نصفها فى الأرض كما هو الحال فى جبال الحجر .

تاسعاً ـ (جبل العذاب) : مشـــهور لدى الرعاة وتجـــار المواشى وسكان الأخبية وهو الجبـــل الوحيد المنفصـــل عن بقيـــة الجبال على مسافة بعيـــدة تتراوح ما بين الثلاثة الى الأربعة من الأميـــال وهو أقرب ما يكون الى وادى المزحم ، موضع ارتكاب الجريمة والمعصية ، وهذا الجبل يشبه القلاع الحديثة ، كما أن نحت أنيقه يشبه الســلالم فلهــذا يمكن تسلقه بكل ســهولة ، ومساحة الوادى أى وادى المزحم تزيد عن تسعين متراً ، وهــذا الجبل يسمى بجبل العذاب وبعضهم يطلق عليه (جبل الحب) اذ انطلقت منه شرارة العشق الموبوءة ـ ان صحت الرواية ـ والذى كان ســبباً فى اهــلاك أمة بأسرها اذ تنــاول الزروع والبيــوت والسهول والأودية والحيوان واذا ولجته ترى بجوفه أربع مغارات متقاربة من بعضها توحى بارتكاب الجرائم والعربدة ، هذا الجبل

كانت تسكنه (عذراء ثمود) فهام وتحير فيها الأزرق وهو أحمر ثمود .

الجبـال النصـفية

بكسر النون وسكون الصاد وهى التى نصفها غائر فى الأرض ونصفها العلوى بارز على وجه الأرض وتشمل معظم وادى الحجر الى حدود هدية وخنزيرة ، وهى المحطة السابعة للسكة الحديدية من الأردن ، ويقع معظم هذه الجبـال بالمنطقة الصيفيـة شمال (الكاتبة) على بعد ميلين من محطة الحجر الحالية تقريباً ، ويقع جزء من هذه الجبال فى سهول (وكور) بضم الواو والكاف وسهول (سليم) بضم السين وفتح اللام ، ويحدها شرقاً هضبة (العطيات) وجبل (الملوح) بضم الميم وفتح اللام بعدها واو مفتوحة مشددة وحاء ، وهذه السهول التى تقع فيها هذه (الأناصف) أو الجبال النصفية ، مصيف لقوم ثمود وبها عماراتهم وقصورهم الغارقة فى الرمال والمتجلجلة فى أعماق الأرض على مسافات بعيدة لأن هذه الجبال الجاثمة على أنحائها والغارق نصفها أو ثلثها فى هذه الأرض ، معظم مغاراتها غارق الى النصف فكلها مغطاة بطبقات صلبة من التراب المتحجر من عهد العذاب الى يومنا هذا .

وفى جوف هذه السهول ، ومما يدل على أن نصف الجبل غارق فى الرمال ، المشاهدة بالدليل المنظور ، والبدو هناك يطلقون عليها هذا الاسـم من قديم الزمن ولا يدرون لماذا سميت به ، ويعتبرون غياب سفوحها عن الأنظار وعدم وجود مسالك لتسلقها دليلا قاطعاً على غرق قسم كبير منها فى الأرض .

وقـد تواترت الأدلة على أن بنيان قـوم ثمود وعمـاراتهم الشاهقة كانت فى هذه السهول بدليل موقعها الجغرافي والصيفى ،

اذ كانوا يسكنون البيوت المنحوتة داخل الجبال فى الشتاء ، والقصور العملاقة فى الصيف ويشير الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً) الخ الآية .

فكانت بيوتهم المنحوتة في جوف الجبال مجهزة لسكنى الشتاء والبيوت المبنية فى السهول مهيأة لسكنى الصيف . وكانت صاعقة العذاب قد زلزلت جميع السهول التى عليها القصور الصيفية فغاصت وتجلجلت ابتلعتها الأرض بما فيها من كنوز وأثاث ، ومن كان داخل الكهوف الجبلية أصابه الريح الصرصر أو صُعِق بكهرباء الصواعق فكانت قبورهم فى داخل بيوتهم الجبلية .

ان هذه (الأناصف أو الأثالث) من الجبال تبدو متراصة كأنها على خط مستقيم غير منحرف ولا منعرج وان أول جبل منها يسمى بـ (المزوز) ويبلغ ارتفاعه ٩٠٠ قدم تقريباً وهو بارز . نصفه على ما يبدو أو ثلثه على وجه الأرض ثم تتصل به طبقات سطحية متحجرة لا يزيد ارتفاعها عن متر واحد ثم تلتحم بسلسلة (الجبال النصفية) المذكورة والتى يبلغ ارتفاع كل منها ٥٠٠ قدم تقريباً وليس بها تقطع ولا انفصال كالجبال الشتوية المعدة لسكنى الشتاء وهى تبدو فى منظرها كالفنار وكل قمة من هذه الجبال منقوشة ومحفورة بشكل جميل جذاب .

ثم ان السيول العظيمة الجارفة التى تأتى فى أيام مواسم الأمطار الغزيرة تارة ما تحدث الفجوات وبعض الحفر العميقة فى بعض هذه السهول والأودية فيطمع البدو وبعض الرعاة العابرين والمارين بأغنامهم فى هذه الجهات بعد اقلاع السيول

جفاف الأرض أن يجدوا شيئاً علهم يعثرون على شيء من آثار الجبارين المعذبين الغارقة منازلهم فى جوف الأرض ، أو لعل اسطح منازلهم الغارقة تقذف بشيء من تلاد القوم مما صهرته الارض على زعمهم فيعلقون عليها آمالا عظيمة .

جبل المروج

ويقع فى الطرف الآخر من وادى (الوكور) الذى مر ذكره هو على حدود الأثالث بالمنطقة الصيفية ، جبل مرتفع شامخ ، يزيد ارتفاعه على ألف قدم بالنسبة لجبال مدائن صالح .

وبسفح هذا الجبل أعشاب مختلفة الألوان والرائحة فمنها ما ترعاه الابل ويسمى (جميلا) ويسمى (الرمث) ويسمى (غراره) ويسمى (الحمض) وغير ذلك مما لا حاجة الى ذكره . وبقمته مستراح فسيح كأنه سطح منزل عظيم وتنبت بقمته اعشاب ذات منظر جميل وأريج عطرى كأنه الزئبق الورد ، وعلى ما يظهر أن هذا المستراح كان مجهزاً ومهيأ لاستراحة المنعمين من قوم ثمود ، كما يوجد فى وسطه نحت بسيط ربما يظلل الرهط من القوم عند هطول الأمطار ، كما يوجد فى سقف النحت تمثال يشبه رأس النسر منحوت من نفس الجبل وكأن يداً ماهرة قد حفرته وأحكمت شكله وصنعه بحيث لا تفرق بينه وبين النسر الحقيقى الا اذا تأملته ودققت فيه النظر وانه ليخيل للداخل أول الأمر أن نسراً حقيقياً يكاد ينقض عليه وكأنه صورة طبق الأصل من التماثيل المصنوعة من الشمع فى الوقت الحاضر كما فى متحف الشمع بمصر بحدائق حلوان أو متحف الشمع فى لندن بمخطة (مدام طوسو) ، ولا أعلم أهو معد لعبادتهم من

جملة ما يعبدون من أصنام فى ذلك الوقت أم مجرد زينة معلقة في النحت ، كما وأن أرض هذه المغارة مفروشة بالحصباء الجميلة التى تشـبه الفسافس والفسيفساء التى تلزق وتلتصـق ببعض جدران المساجد فى الخارج .

واذا حفرت قليلا بعد ازالة القشرة المتحجرة وظهر لك الوجه الحقيقى من الأرض فى عرصة هذه المغارة وطرقت الأرض بحجر غليظ أو مطرقة سمعت رنينـا يوحى بدفن مدخرات فى هـذا النحت .

جبال الأثالث

وهذه سلسلة أخرى من جبال قوم ثمود وتبدأ هذه السلسلة من بعد محطة (خنزيرة) بكسر الخاء وهى محطة للسكة الحديدية العثمانية الخربة على بعد ثلاث مراحل من شرق وادى الغميم فى اتجاه (المعظم) حتى تصل الى الحجر وهي الأثالث المذكورة فى التفسير غرب قرية (الكاتبة) وجبالها مقطعة عن بعضها وبهـا شبابيك وأبواب ونقوش واذا بدأت فى تمييزها وعدها تبدأ من بعد الحجر بمحطة واحدة من محطات السكة الحديدية العثمانية وسبب تسميتها بالأثالث هو غرق ثلثيها فى الأرض كما يزعم البدو الرحل والسياح وكما وافق على هذه التسمية الشيخ عبدالله ابن غريض رئيس القـافلة التى أنا من ضمنها . أما التـاريخ القديم فلم يذكر شيئاً عن سبب هذه التسمية .

وصلنا الى صخرة الناقة على بعد مرحلة ونصف من مدينة

الحجر وهى أى الصخرة عبارة عن جبل صغير منفرد يقع فى غرب وادى المزحم وهذا الجبيل كأنه صخرة عظيمة ملقاة فى جوف الوادى فلا هى تشبه الجبل من حيث السفح أو القمة ولا هى تشبه الصخرة التى يطلق عليها اسم الصخرة وهذه الصخرة او هذا الجبل الصغير يطلق عليه الرعاة اسم جبل الناقة التى خرجت منه حينما طلب القوم ذلك وهم ثمود طلبوا خروج ناقة عشراء من هذا الجبيل فأخرجها الله لهم آية وعبرة ثم بعد خروجها التأم الصدع كأنه لزق أو لحم بحديد وقطران أو صب بمسلح ويبدو الشق وهو ملحوم كأنه صنع يد فنية جبارة ماهرة وهو طبيعى كسائر الطبيعيات وقدرة الله صالحة فى كل وقت ومكان وما ذلك على الله بعزيز .

الصخور المنقوشة

هذه تجدها فى كل مكان من ديار ثمود ، بعضها داخل المغارات الكبيرة ذات الشبابيك المتعددة بحيث تستطيع التقاط صور لها فى النهار ، وبعضها ملقى فى سفوح معظم الأثالث والنصفية وبعضها فى السهول والأودية .

وعلى ما يظهر أن القوم كانوا يجعلونها متكأ لقاء المساند والمخدات التى نستعملها فى الوقت الحاضر ، ونقشها بحسب قيمة صاحب المغارة ومكانته بين القوم فبعضها يلفت النظر ويعجبك حفرها ونقشها كأنها تحفة وزينة وبعضها نقشها بسيط ، لكن لا يوجد عليها أى تمثال أو كتابة نبطية أو غيرها من الكتابة الثمودية بل هى مجرد نقوش فنية رائعة جذابة .

نوافذ الجبال

كل جبل من الأثالث والأناصف المنحوت منها وغير المنحوت والشاهق منها وغير الشاهق ، منحوت وله مداخل من السفح وله شبابيك في وسطه وفي قمته وبعضها جميل وعال وبعضها ردىء وواطىء تحتاج الى انحناء عند ولوجه ومما يلفت النظر مدخل مغارة السلطان بآخر الحجر وفي أول (الكاتبة) .

وهو أحسن مدخل لجبل من جبال السلطان كأنه رسم يد بآلة هندسية ومع ذلك فهو نحت وتفريغ وارتفاع هذا المدخل ١٤٠ سنتيمتر واذا ولجت الى داخل المغارة تجد هناك ما يسرك من نقوش وحفر في صلب الجبل وجدره وتجد عدة مصاعد منحوتة من نفس الجبل أربعة منها في أول المدخل من دهليز الجبل ، بعدها نفنف فسيح ثم سلم آخر من الصخر ومصاعده تربو على العشرة ثم يقابلك مجلس فسيح ١٠ في ٨ أذرع تقريباً وبه عدة نوافذ ثم مصعد من خارج النفنف يوصلك الى القمة فسبحان من ألهمهم هذا النحت الجميل .

الشعاب

أما الشعاب بمدائن صالح فهي تربو على ألف شعب معظمها في مدينة الحجر ومن أحسنها ، منظر شعب بين جبلين شامخين على بعد مرحلتين من الحجر وتحت سفح أحد الجبلين بئر عليها صور من الصخور العظيمة وهي مطمورة مهجورة من الآبار الممنوعة التي حرمها الرسول صلى الله عليه وسلم وحظر من شرب مائها ، ولا أحد من البدو يعلم عنها شيئاً الا أن بعضهم يزعم أن فيها عظام موتى من العهد القديم والوصول اليها من الصعب

حيث المسالك كلها وعرة وأرضها محزونة صلبة وحجارة الأرض التى فيها هذا الشعب محددة ربما تشقق أخفاف بعض الابل وهذا الشعب المذكور من أفسح شعاب مدائن صالح الا أنه غليظ شديد وبقية الشعاب بسيطة كغيرها من شعاب البلاد العربية .

الأودية

أما أودية ديار ثمود فكثيرة ومن أشهرها وادى (خنتريرة) ووادى ضرس بكسر الضاد وهو من تسمية البدو . وجاء فى الشعر العربى بصيغة الجمع ، ثم وادى كهيان بكسر الكاف من تسمية البدو أيضاً ثم وادى قرح بفتح القاف والراء بعدها جاء وهو متصل بالعلا (وادى القرى) ووادى (الحجر) بكسر الحاء وسكون الجيم بعدها راء وهو يتوسط مدينة الحجر المذكورة فى القرآن الكريم والتى هى عاصمة ديار ثمود ومقر زعمائهم ثم وادى برم بضم الباء وسكون الراء وهو أوسع واد اذ يمتد من حدود الشام حتى خيبر وجزء منه تابع لثمود قد غارت عيونه وجفت أشجاره ، ثم وادى القرى وهو الوادى المشترك بين العلا ومدائن صالح وكان يسكن بهذا الوادى قبيلة من اليهود تسكن فى البيوت الشعر كان قد منعهم يهود العلا من دخول البلد خوفاً من مزاحمة أسواقهم ـ ثم وادى عرنان بكسر العين وسكون الراء وهو ملاصق للعلا أيضاً كما أن هذا الاسم يطلق على يوم من أيام العرب فليلاحظ ، ووادى عرنان هذا كثير الرمل تغوص فيه أخفاف الابل ووادى (المعظم) ووادى (السبخة) .

ويقطع السائح هذه الأودية فى أيام كثيرة على الابل من حدود الشمال شمالا وذات الحاج شرقاً حتى (وادى القرى) فى الجنوب

الشرقى لمدائن صالح مما يلى العلا وقد تمر على أربعة وأربعين محطة من محطات السكة الحديدية الحجازية الشامية حتى تقطع هذه الأودية التى من أشهرها وادى السبخة وهو واد أبيض كما تسميه البدو وترى أرضه مملوحة والملح برز ناتىء على سطح أرضه وشكله مخيف ومنظره مرعب اذ تغوص الأقدام فيه حين التجوال فى أرضه تارة الى نصف الساق ومرة الى الكعبين ولا يغاص فى جميع أرجائه خوفاً من الغرق والتجلجل فى جوفه حتى أن الابل تتجنب ثبجه ولا تمشى الا فى أطرف سفح أحد الجبلين المحيطين به وسيرها فيه كما يمشى الوجى الوحل وهذا من الأراضى التى مسها العذاب والعياذ بالله — ويقول البدو الرحل ورفاقنا من تجار الابل أن بهذا الوادى ٢٠ بيتاً غائرة فى الأرض ولعله هو الوادى المشار اليه فى الاثر والذى يهبط المسيح الدجال فى أحد أرجائه ويبث دعاته الى المدينة والشام — وهذا الوادى لا ينبت فيه زرع ولا كلأ ولا تمشى فيه الماشية الا عبوراً من أطرافه ولم نكمث فيه بل التقطنا المنظر ونحن على ظهور الابل ، وهناك ظاهرة غريبة بهذا الوادى والجبال المحيطة به اذ تكثر الطيور الجارحة مثل النسور والحدء والغربان ولعل ذلك راجع الى غطوس الماشية أو من يلج فى وسطه فيهلك فتأكله الطير . ثم هناك أودية قد مر ذكرها فى صلب هذا الكتيب لا حاجة لاعادة ذكرها لأنها ليست من الأودية المشهورة ويكفينا ذكر اسمها كمستند تاريخى فقط .

المحطات المسكونة

وأقصد بالمحطات القرى أو الضواحى التى فيها شىء من

الزرع والنخيل والماء ويسكنها نفر من الناس وهذه قليلة ونادرة جداً ، ولا يوجد فى هذه المحطات التى تربو على الخمسين من الشام الى الحجر أو من الحجر الى الشام الا بعض الأماكن التى تعد على الأصابع فمن جهة السعودية ليس لك أن تمتار الا من (وادى القرى) التى هى العلا وضواحيها اذا بدأت رحلتك من الأرض السعودية لمدائن صالح ، ومن البوير بحدود الأردن بعد معان ببضعة مراحل شرق ذات الحاج اذا بدأت رحلتك من الأردن وهذه ضاحية من ضواحي (البوير) شرق معان على مرحلتين منها وفيها محطة سكة حديد مقلعة القضبان وعدة أكواخ مبنية باللبن وبئر ماؤها آسن بعض الشيء و ٣٦ نخلة وشجرة نبق وأثلات وعلى البناية العثمانية شبه فارس واقف كالتمثال وجو هذه المحطة نقي لكن لمن كان معه ماء وزاد ويأخذ شيئاً من هذه الضاحية ولقد مكثنا فيها ليلة كاملة وطرفاً من النهار ثم غادرناها الى المعظم .

الزروع المحروقة

وهذه تبدأ من وادى السبخة حتى الحجر أى قبله بمرحلة على الابل ومعظمها خاوية على عروشها ، محرقة جذوعها ملتهب رءوسها ، وتجد ثلاث محطات من محطات السكك الحديدية بديار ثمود مما يلى الشام فيها بعض النخيل وليس فيه ثمر ، كما تجد بجانبه بعض الحفر المطمورة ولا يعلم أحد عما فى باطنها أماء أم رمم نسأل الله العافية ، ويقول أهل القافلة والذين هم معنا فى هذه الرحلة : ان هذه كانت من النخيل التى كان طلعها هضيماً كما جاء فى القرآن الكريم فى خطاب قوم صالح عليه السلام

من قوله تعالى (أتتركون فيما هاهنا آمنين فى جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم) يقولون انهم سمعوا من آبائهم وأجدادهم بالتوارث أن هذه النخيل وهذه العيون الغائرة والأرض السبخة والآبار المطمورة هى التى كانت لقوم ثمود وجاءها العذاب والعياذ بالله ، ويرى السائح بعد كل ثلاث مراحل أو أربع قطعة من هذه الأرض المعذبة من حدود المعظم حتى يلج الحجر عاصمة قوم ثمود نسأل الله أن يجيرنا من عذابه .

القبور

بعد مرحلتين من وادى (هدية) قبل مداخل الحجر بعدة محطات حديدية تجد أكواماً من الردم على شكل هضاب أو أقواز متحجرة من الرمل يقول البدو الرحل انها قبور قديمة مهجورة تكدست عليها الرمال حتى صارت كالهضاب ، ولا يعلم أحد عن تاريخها هل هى من العهد الثمودى أم من العهد الجاهلى ، أو من العصور الوسطى وقد سافرت الى الخرج(١) خصيصاً لهذا الغرض فى عام ١٣٦١ هـ وقابلت معالى الوزير المرحوم عبد الله السليمان وزير مالية المملكة العربية السعودية آنذاك ونزلت عنده ضيفاً وكان مقيماً فى الخرج يحفر عيونها ويغرس نخيلها حيث جلب

---

(١) الخرج بفتح الخاء وسكون الراء ـ بلدة زراعية ذات عيون وآبار وأرضها خصبة ومناخها جميل وهى على بعد ستين ميلا من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية وأشهر عيونها السمحة وأم العيهد وفيها النخل الكثير والفواكه والخضروات وقد تحضرت الآن وأصبح فيها مدارس وأسواق تجارية ومصانع وغير ذلك .

اليها المزارعين من العراق والشام وشرع فى حفر آبار ارتوازية وخطط مدينة الخرج تخطيطاً فنياً فى عهد المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود وجلست فى ضيافته ثلاثة أيام ومهمتى سياحية ليس الا ، وقد ساعدنى فى مهمتى حيث كان يخصص بعض العربيات (الماركينى والكاديلاك) من أول النهار وآخذ ما يكفينى من زاد وماء ورفاق وكان بالصدفة نزيله فى ذلك الوقت المستر فلبى — فشرحت له فى احدى ليالى السمر مع السائح المذكور وجوب البحث عن هذه القبور ونبشها لاخراج ما فيها من كنوز ان كان هناك شيء من الكنوز أو الذهب المدفون وأقصد بذلك هذه القبور المردومة ومغارات قوم ثمود ، فقال لى : ان الأخ عبد الله فلبى يطلب نفس الشيء فهناك قبور تبعد عن الخرج بحوالى ٢٠ ميلا محولة عن القبلة ويظهر أنها من ألعهد الجاهلى والأخ فلبى مستعد لدفع مبلغ كبير من المال لقاء أخذه امتياز حفر هذه القبور ، وقد عرضت الموضوع على جلالة الملك عبد العزيز فعرضه على المشايخ فامتنعوا وأفتوا بعدم جواز نبش القبور فاستغرب جداً ورجعت أنا وزميلى الكشاف بخفي حنين وكنت آنذاك أواصل التجوال وأتمنى أن تتاح لى فرصة التصريح بالحفر والتنقيب لأنى كنت فى شرخ الشباب .

المداخل

حينما تدخل مدائن صالح ترى كأنك مقبل على كتلة جبلية واحدة متراصة بعضها متشابك فى بعض وهذه الكتلة هى سلسلة جبال الأثالث ، ثم كتلة سلسلة جبال الأناصف والفرق بين هذه الكتلة وتلك الكتلة هو بعض انخفاض بسيط فى قممها بحيث

ترى أن سنظر الأثالث أقل فى الارتفاع من الجبال النصفية ، لكن اذا ولجت داخل مدينة الحجر وجدت نفسك بين جبال متقطعة ، كل جبل على حدته ، ويفصل بين كل جبل وآخر شارع مستقيم الا أن الرمال المتكاثفة تغطي الشارع كله تقريباً فى بعض الأماكن . وتارة ترى بين كل ثلاثة جبال أو أربعة شارع ، وتارة بين كل عشرة أو عشرين الى حد الخمسين ، والشوارع كلها منظمة وفسيحة كأنها قد خططت فى العصر الحاضر ، ثم ترى الجبال منفصلة عن بعضها انفصالا فنياً بحيث لا ترى النواتيء ولا القرادد أو الحشارج بل كلها بيوت جميلة نظيفة على الطراز الحديث ، ولا ترى النقوش على وجه الجبال الا فى داخلها أو على قممها أو ما كان معداً للزينة والتحفة كما سيأتى ، ثم ترى مداخل البلاد من طريق (العلا) كأنك داخل على جبال مقوسة أو شوارع منظمة كما يسمى فى الوقت الحاضر بأقواس النصر فترى الجبال التى على حافة مداخل البلد مشطورة نهائياً كأنها قسمت بسيف حاد حتى لا يزدحم الناس فى الدخول ، كما أن مداخل شارع مجالس السلطان مرتفعة ومنحوتة نحتاً رائعاً كما مر . وهذا المدخل الرئيسى المؤدى لمجالس السلطان أعظم روعة من المداخل السابقة ، وهذا المدخل العام لديوان الملوك أو السلطان فى مدائن صالح ما زال قائماً بين منطقتي طريف والعلا (وادى القرى) ثم ترى بين كل ثلاثين أو أربعين جبلا (جبلا) أنيقاً منحوتاً نحتا فنيا رائعا ومنقوشا بنقوش جميلة ومكتوبا على قمته بعض الحروف النبطية والعربية التى اندثرت معهم وكانت لغتهم كلغتنا لكن بعض الكلمات لا يوافق معناها المطلوب فى لغتنا فمثلا أيام الأسبوع يقولون لأول يوم منه وهو السبت

(شيار) ولا ينطقون بكلمة السبت ويوم الأحد (أول) بفتح الواو المشدودة ويوم الاثنين (أهون) على صيغة أفعل التفضيل ويوم الثلاثاء (دبار) بفتح الدال ويوم الأربعاء (خبار) بفتح أوله والخميس (مؤنس) بكسر النـون ، والجمعة (العروبة) وهكذا أسماء الشـهور والفصول وغـير ذلك من الأسماء التى تغيرت فيما بعد حينما انبلج لسان اسماعيل بالفصحى .

النوافذ والأبواب

هـل كانت أبوابهم ونوافذهم من الحـديد والخشب أم من الحجارة والصخور ؟ وهذا ما حيرنى وأدهشنى اذ لم أجد أثراً لقطعة من الخشب أو الحديد على أبوابهم ونوافذهم أو شبابيكهم ، وعلى ما يظهر أنهم كانوا اذا نحتوا باباً أو نافذة وأرادوا غلقها ـ نحتوا لها قطعة من الصخر على مقاس الفتحة التى يفتحونها اما بيوتهم التى كانوا يبنونها فى السهول فلا تخلوا من خشب لكن الصاعقة أو الرجفة قد جلجلتها فى جوف الأرض فلا ترى لها من باقية .

الغـــابات

ومن أشـهر الغابات بديار ثمود غابة (البطيح) بصـيغة التصغير ، وهى الغابة التى على مقربة من جبل النـاقة بقـرية (الكاتبة) التى هى من ضواحى الحجر وغابة (المزحم) وهو ممر الناقة على مرحلة ونصف من الحجر ثم الغابة (البيضاء) وهى تبدأ من حدود فلسطين حتى المدينة وجزء كبير منها يتوسط مدائن صالح الا أن هذا القسم بور تعلوه سبخة عظيمة وهو

مالح الماء محروق العشب والعياذ بالله ، ثم غابة (الملح) وتقع فى شرق (هدية) التى مر ذكرها وهذا من تسمية البدو . وأما ما جاء فى الشعر فهو (صفرات الملح) وقد قال الشاعر :

الى صفرات الملح ليس بجـوها   أنيس ولا ممن يحل به ذكر

ولعله يقصد بصفرات الملح غابة الملح الموجودة فى مدائن صالح والله أعلم .

النقوش والكتابة

هنـاك نقوش وكتابة بحروف نبطية أو عربية ثمودية من الطراز الأول يفقهها من درس الـكتابة القديمة ، وأحلى ما فى المدائن ، النقوش التى على الصخار والتى فى وسط أحد الجبال النصفية كما أنه توجد كتابات ثمودية متنوعة وأكثر ما تجد هذه الكتابة فى الأثالث وبعض الجبال النصفية .

الأبجدية الثمودية :

والأبجدية الثمودية ــ كما قرر الثقات من الباحثـين ــ هي نفس الأبجدية العربية القديمة « المسند » مع نقص حرف واحد هو « الظاء » ، ومع اختـلاف فى رسم الحـروف فبعضها يكتب مقلوباً ، والبعض الآخر معكوساً ، وهى لم تحظ بما حظيت به السبئية والمعينيـة وغيرهمـا من الدقة فى الوضع والاتقـان فى الرسم . ونقوشها قصيرة لا تتعدى السطر أو السطرين ، وليس لها أسلوب مطرد ، فقد تبدأ كتابة النقش من أعلى الحجر ، وقد

تبدأ من أسفله وتارة من اليمين وأخرى من الشمال(١) . وخط ثمود خال من الشكل والتشديد والاشباع .

ومن أجل هـذا اعتبر بعض الأساتذة الخط الثمودى خط البادية أكثر منه خط المـدن والمنـاطق المتحضرة ، وأطلق على الكتابة الثمودية كلمة « خربشات » وخلص الى القول : « ان قبيلة ثمود لم تكوّن مملكة بالمفهوم الحضاري »(٢) .

غير أننا لا نوافق على هذه النتيجة ، فربط الحضارة بتنميق الخط ، والبداوة «بخربشته» فى موضوع ثمود بالذات أمر ينقضه القـرآن وتكذبه شواخص الآثار . فقد ذكر القرآن حضارتهم المعمارية وحضارتهم الزراعية ، وجاءت آثارهم شواهد ناطقة بصدق ما ذكر القرآن مما فصلناه فى ثنايا هذا الكتاب .

وتعتـبر « الثمودية التيماوية » هي الأبجـدية الأم التى تفرعت عنها : الثمودية الحجازية، والثمودية النجدية، والثمودية التبوكية . (انظر مرتسمات هذه الكتابات وقراءتها) وكلهـا تنتمى الى خط المسند الذى انبثق منه فى الشمال الخط الديدانى واللحيانى والثمودى والصفوى ..

لكن الخط العربى الذى نكتب به اليوم يعتبر تطوراً من الخط النبطى ، لا الخط المسند ــ وان كان الباحث الأستاذ أحمد شرف الدين قد لاحظ اثر تأمله لنقش « عائذ بن كهيل » الذى

---

(١) « اللغة العربية » في عصور ما قبل الاسلام ، أحمد حسين شرف الدين ص ٦٤ .

(٢) « محاضرات في التاريخ والآثار » ص٨٩ محاضرة الدكتور عبد الرحمن الانصاري .

يعود الى السنة الأولى ق.م والمكتشف بمدائن صالح - هو نقش نبطي - أن حروف هذا النقش هي حروف المسند الا أربعة منها فقط تأثرت بالآرامية هي الثاء والسين والعين والياء . ومعنى هذا ان خط المسند في فترة ما قد أثر تثيراً واضحاً في الخط النبطي ... ومهما يكن من شيء فلا ضير أن نقتبس خطنا من النبط فهم أيضاً عرب من سروات الحجاز .خطهم يرجع في أصله الى الخط الفينيقي - أصل الخط العالمي - والفينيقيون كذلك عرب من نجد والبحرين . ولذا يصح القول بأن أعظم اختراع بشرى على الاطلاق وهو اختراع الأبجدة يرجع الفضل فيه للعرب !!

اللغوية الثمودية : كان ذلك من ناحية الكتابة والرسم ، إما من ناحية اللغة ، فالثمودية عربية شمالية تشوبها بقايا من لغة الجنوب ..

واذا صح ما ذكره مؤرخو العرب مم أسماء أيام الأسبوع وشهور السنة لدى ثمود ، فان تلك الأسماء تمت بصلة وثيقة لعربيتنا اما بصيغتها أو باشتقاقها أو ردها الى معان معروفة في المعجم العربي .

فأيام الأسبوع ابتداء من الأول (الاحد) ف أهون ودبار وخبار ومؤنس والعروبة وشيار (السبت) يمكن فهمها بسهولة فالأول معروف والباقية من هان ودبر وخبر وآنس وعرب .. وأما شيار فمن شاريشور : اجتنى العسل ، والشيار هو اجتناء العسل واستخراجه ..

وأما أسماء شهورهم - التي يبدءونها بذيمر وهو رمضان - فهي ابتداء من المحرم حسب شهورنا القمرية :

موجب (المحرم) وموجر ومورد وملزم ومصــدر من أوجب وأوجر وأورد وألزم وأصــدر .. وأوجره الدواء وضــعه فى فمه) وهوبل ، وموها وذيمر (وعليها المسحة الجنوبية) ودابر وحيقل ومسيل (من دبر الكتاب اكتتبه وسال أو أسال ومن حقل على زنة فيعل أو هى « على الطابع الجنوبى » كما يرجح الأستاذ عبد القدوس الأنصارى .

وهكذا فأسماء الأيام والشهور الثمودية تغلب عليها سمات العربية الشمالية ...

واذا نظرنا الى أسماء معبوداتهم وجدنا الانتماء نفسه ..

فالمعبودات الثمودية : كما ذكرها الدكتور جواد على — هي : رضا وصلم وود وجدهدد وشمس ونعرجد ، ومناة ونهى وايل واملات وعترسم وعترسميل وكاهل ، وملك ومالك وعزيز .

فليس ثمت نشاز فى أسماء هذه الأصنام عن عربيتنا الا فى امثال نعرجد وعترسم ، وعترسميل .

ويلاحظ أن ملك ومالك وعزيز من أسماء الله تعالى حيث كان يُعبد ولا معبود سواه فلما أشركوا سمّوا أصنامهم بها .

واذا انتقلنا الى أسماء الأشخاص الثموديين ألفيناها غالبــاً اسماء عربية بأوزانها ومعانيها . وكثيراً ما تشاهد نقوشاً على شواهد القبور ، أو أعــلاماً محفورة فى الصخور ، تضم أسماء على صيغة فعّال كصبّار وحبّار وغيّار وهجّار أو على أوزان عربية أخرى كناضر ونمر وعفيف ومرة وكميلة وأوس وأسعد واياس .

كل ذلك يدل بوضوح على أن ثمود كانت تلهج لهجة عربية شمالية لا تفترق كثيراً عن عربية الجاهلية وعربية الاسلام بل

ولا عن العربية التى نتحدث بها اليوم ، فكثير من تلك الكلمات ما زلنا نستعمله فى لغة الحديث والكتابة ..

المحافظة على الآثار

كل بلاد تحافظ على آثارها حتى قوم صـــالح عليه السلام . والآثار المنقوشـــة بجبال السـلطان بمدائن صـــالح ثمودية أو نبطية نقلنا لك بعضها بالألوان .

انك لا تجد هذه النقوش الأثرية الجميلة الا في بعض الجبال المميزة عن غيرها من الجبال المنحوتة فهى اما أن تكون لسكنى الزعماء من ثمود أو من الآثار التى من قبل ثمود وورثتها ثمود وقلدت شكلها فى بقية الجبال أو ممن احتل المنطقـــة كالأنباط كما تحتفظ كل بلدة بآثارها وما ورثته من تراث أجدادها من أثاث ومتاع وغير ذلك .

من بقى من قوم ثمود

هل من ذريتهم من هو باق الى الآن أم أن الله أهلك جميـــع قبائل ثمود الذين كانوا على وجه الأرض فى مشارقها ومغاربها وهم عدد كثير وكانوا يسيطرون على جميـــع البـــلاد العربية ؟ الجواب على هذا من نفس القرآن اذ يفسر بعضه بعضاً ولا نحتاج الى كلام المفسرين ؛ يقول تعالى (وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل) يعنى اذا أخذنا بتفسير من زعم الابادة معناه وقوم نوح أبدناهم كما أبدنا قوم ثمود ، مع أنه قال جل شأنه (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) الخ الآية . والذين نجوا مع نوح

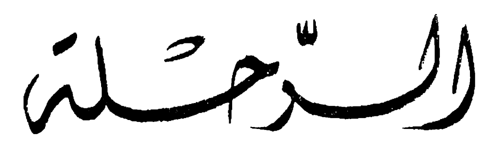
عليه السلام عدد قليل من أولاده ومن المؤمنين الذين لم يملأوا سفينة شراعية مع كل من دب على وجه الأرض ، هذا العالم كله من بقايا هذه السفينة فكيف بقوم ثمود وقد قال الله فيمن آمن منهم (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقال فيهم : (فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا) ؟ ولم يكونوا قلة كما قال في قوم نوح وما آمن معه الا قليل وهؤلاء قد انحازوا مع صالح وأهل صالح قبل العذاب بأيام معدودة الى السهول والمساجد وليست السهول والمساجد ببعيد عن الحجر الا بمراحل معدودة وقد نجاهم الله من الرجفة والصيحة لأنها كانت قاصرة على الحجر ومن حوله من الكفار والمعاندين ، أما الذين كانوا من المؤمنين من قوم صالح فى الروم أو فى البحرين أو فى فارس أو حتى فى جنوب الحجاز بالنسبة لموقع بلادهم فقد نجاهم الله أيضاً .

وهذا الجاحظ اللغوى الأديب يقول : لا أدرى كيف زعم البعض بالابادة العامة فى المشارق والمغارب وهذه (ما) لا تدل على النفي القاطع ولو فسرت على جميع اللهجات والمعانى ولا أقول الا (معظمهم) يعنى معظم الكفار ولا يستفاد من الآية الابادة النهائية . انتهى كلام الجاحظ وهذا من جهة اللغة وتفسير ما وما تدل عليه من المعانى - أما معظم المفسرين والمؤرخين فقد أجمعوا على أن ذريتهم المنتشرة فى أنحاء العالم لا زالت باقية ولم تهلك ولم يهلك الا من كان بالحجر وما جاورها حتى أن العلا التى هي أقرب بلد الى مدائن صالح لم يصبها العذاب .

القبـــــائل

القبائل التى تنزل على أرض ثمود حالياً ، والذين يرعون مواشيهم حول مدائن صالح وربما ينصبون خيامهم حول الحجر ووادى المعظم وهدية الى تبوك ، معظمهم من قبائل الشمال الذين هم من جهينة ومن بلى وبنى عطية وعنزة وسليم وغيرهم من البدو الرحل من معظم القبـائل العربية ، لـكن الأغلبيـة لمن ذكرت أسماؤهم ، وهؤلاء لهم عادات وتقاليد وأهازيج جميلة ينشدونها أمام ضيوفهم كما يكرمون كل من يحل ضيفاً وينزل على أخبيتهم .




الرّحلة

كيف كانت رحلتي ؟

انها من الطرائف العجيبة والنوادر الغريبة ولولا ذلك لما تمت الرحلة ، ومع ذلك ومع ما نلته من حظ وتوفيق فى هذه الرحلة فقد ضحيت بالشيء الكثير ومن ذلك مثلا ؛ أنى أضعت عمداً وبالجبر والغصب جواز سفرى الذى كان يحمل شهادة دخولى الى أستراليا والفلبين ومنادو ، وأمبون ، وطرونة ، وغير ذلك من الجزر وأشباهها وذلك انى رجعت الى جدة من هذه الرحلة الطويلة ومعى تحف أثرية جلبتها معى من الصين واستراليا وجعلتها بمخازن جمرك جدة باسم الترنزيت ، لأحملها الى مصر لبيعها هناك فى ذلك الوقت الذى كانت تباع فيه الآثار والتحف الصينية القديمة بأسعار خيالية ومكثت بجدة أياماً معدودة وسافرت منها الى مصر على ظهر احدى البواخر الخديوية الى السويس ومعى بضاعتى الأثرية ، وصادف الحظ بوصولها سالمة وبيعها بأثمان باهظة ثم سفرى على الباخرة الايطالية من ميناء الاسكندرية الى حيفا ثم يافا(١) ثم بيروت ثم دمشق ونزولى بفندق الأردن وفلسطين وبه كانت المفاجأة .

كان الشيخ عبد الله بن غريض نازلا بهذا الفندق ، كما أن كثيراً من العرب المعقلين واللابسى العباءة الصحراوية كانوا نازلين بهذا الفندق وكنت أجتمع ببعضهم فى بهو الفندق حينما نحتسى

الشاي أو نتناول العشاء أحيـانـاً وأكثر من اجتمعت به هو ابن غريض حيث كان كل منا يستأنس بالآخر ويسأل عنه .

سمعت يوماً من الأيام بعض النزلاء بهذ الفندق يتحاسب مع ابن غريض حساباً حامياً حاداً ، ثم حضر آخر على صـوت المجادلة التجـارية وحضرت فسمعت وأنا جالس بالبهو أحتسى القهوة واللبن أصيل يوم من أيام الشتاء ـ ابن غريض يقول لصاحبه (تزكن) يوم كنا بخباء فلان بمدائن صالح وأعطيتك كذا من حساب الأبعرة الثلاثة وأبقيت لك كذا ويوم نطحتك عند فلان بحاج (ويقصد بحاج ذات الحاج) يقول له أعطيتك كذا وكان المتبقى لك كذا أعطيتك اياه فى تبوك الخ ما سمعت من حديث شهي ، ثم لم أنم تلك الليلة اذ اختمرت فى ذاكرتى ومخيلتى كلمة (مدائن صالح) وجعلت أفكر فى كيفية الوصول الى هـذه المـدائن وهى أبعـد من بيض الرخـم والعقـاب . وأنى لى بالوصول الى هذه الأمكنة ودونها قلل الجبال ودونهـا الحتوف والموت المحقق خاصة وأن الطريق من جهة الشام لم يكن معبداً مطلقاً ومن جهة السعودية نفس الشيء ؟ وما صدقت أن طلع الفجـــر ، حتى بادرت الى البهــــو ، منتظراً ابن غريض لأطلعه على ما جال فى خاطرى وعما فكرت فيه من سياحة والقيام برحلة صحراوية الى هذه الديار التى طالما كنت أحلم بها وأتمنى الوصول اليها بأى ثمن كان لأرى شيئاً من عجائب الدنيا أو عل

---

(١) كان ذلك قبل الاحتلال الاسرائيلى .

الأقل ما يضارع كهوف الأحقاف التى جبت صحاريها ، وأهرام مصر وغيرها من تحف الدنيا التى وقفت عليها ، خرج ابن عريض من حجرته وجاء الى البهو وطلب القهوة ولم يدر بى الا وأنا بجانبه ، حييته وسلمت عليه وبدأت أسأل صاحبى عن الطريقة التى توصلنى الى مدائن صالح والحجر وعن المدن المجاورة لهذه المدائن وعن أقرب بلد لها من السعودية أو من الشام ، فقال الرجل : حلمك ان شاء الله سيتحقق لأنى سأكون بعد شهرين أو أكثر بقليل بالمدينة ان شاء الله وأنا ساكن فى تبوك ، وسأقوم من تبوك بماشية وابل أنا وبعض أصحاب لى من تجار المواشى وسيكون قيامنا من تبوك قبل الحج بشهرين حتى ندرك الموسم ونبيع أغنامنا على تجار الماشية بالحجاز وهو أحسن موسم لنا موسم الحجاج وعيد الأضحى وانا نكتفى ببيع مواشينا بالمدينة ثم نرجع الى ديارنا بالشمال ثم أعطانى عنوانه بتبوك ، ثم سألته كيف الوصول الى تبوك من هنا أى من دمشق ، قال : يكون سفرك بالسيارات الى حوران ــ درعا ــ المفرق ــ عمان ــ معان ــ ذات الحاج ــ تبوك ــ حفظت ما قاله وسجلته بمفكرتى ومضت أيام وسافر الرجل وصحبه وتجولت فى أرض الشام وشمالها وغربها شرقها وجنوبها ، ورجعت الى دمشق فى فندقى الأول ومكثت به يوماً واحداً لأتخلص من زوائد الأمتعة والرحال وعقدت العزم على السفر الى مدائن صالح على ضوء ما وصفه لى ابن غريض ، ركبت عربية صغيرة (فورد) مع بعض المسافرين الى (درعا) ثم تجولت فى حوران ما شاء لى أن أتجول ثم استأجرت عربية أخرى الى (المفرق) والمفرق هو الحد الفاصل

بين الشام والأردن ولكنه تابع للحكومة الأردنية الهاشمية وكانت آنذاك امارة والأمير عليها عبد الله بن الحسين أمير امارة الأردن الخاضعة للنفوذ البريطاني آنذاك ، وليس بالمفرق الا مركز صغير يضم رهطاً من العسكر الأردني وبعض المخيمات الصغيرة المنتشرة في أرجاء المفرق ، وقفت السيارة الصغيرة أمام المركز ونزل الركاب الأربعة وخامس خمستهم السائح الحائر المندهش كاتب هذه الرحلة ـ لم أدر بنفسي الا وأنا واقف مع المسافرين أمام ضابط المرور الأردني يسألهم عن جوازات سفرهم وكأني لأول مرة أسمع هذه الكلمة ..

لم تطرق مخيلتي أو ذاكرتي مسألة الجواز مع فرحي ببلوغي طريق الرحلة الى مدائن صالح كأني راحل الى القمر أو الزهرة ، ما خطر ببالي موضوع الجواز مطلقاً ولم يمر على ذاكرتي ونسيته نسياً عجيباً وما أنسانيه الا الشيطان لأمر لا يعلمه الا الله ، مع أني سافرت ورحلت قبل هذه الرحلة عشرات المرات وأعلم أن كل دولة لها تأشيرة خاصة على الجواز ومعاملة خاصة واذن من الحكومة واجراءات قانونية ودولية ولكن مع من ! مع من أسكره الخيال ولج به في سلطان الهوى أو في تلك القفار والمفاوز أو مع من فكر أنه سيحقق أحلاماً بعيدة وآمالا عزيزة . ان الجواز مع كمية من النقد الأجنبي في محفظتي الجلدية وهي من جملة المظروفات التي تحويها المحفظة الجلدية الكبيرة التي بها مجموعة من الثياب والأشياء الضرورية .

قلت لأخينا الضابط : هذا جوازى ، أخذه وقلب أوراقه ثم نظر الي شزراً وقال : ماشاء الله أنت سحت العالم وكيف ضاعت عليك هذه المسألة ؟ قلت : ماهى ياحضرة الضابط ؟ قال : أين التصريح لك بدخول الأردن ؟ ثم أين التأشيرة ؟ ثم أين كتابة الأردن فى الجواز ؟ عرضت أمرى على الضابط وما أصابنى من نسيان ودهشة حينما بلغت رأس الطريق الى مدائن صالح واقسمت للضابط أن مجيئى الى هنا كان على سبيل الصدفة وعزمى على هذه الرحلة كان أمراً مبيتاً بليل ، لهذا لم أعر الموضوع أى اهتمام ولم أفكر فيه مطلقاً ولم أشعر بنفسى الا وأنا امامك فأتوسل اليك ألا تحرمنى من هذه الرحلة بعد ما وصلت الى أول الطريق .

فقال : مع الأسف وقعت فى الفخ وما اخالك الا متجسساً ووجب ايقافك هنا حتى يأتى أمر من سيدنا وسيد الجميع الأمير عبد الله ابن الحسين باطلاق سراحك أو رجوعك الى الشام أو دخولك الى الأردن ، ثم أطلق بقية الركاب وبقيت وحدى فى تلك الغرفة الصغيرة التى لا تضم الا ثلاثة أو أربعة من الشرطيين .

أسلمت أمرى الى الله وجعلت أفكر طويلا فى كيفية المخرج من هذا المأزق الحرج وقلت فى نفسى ليتنى لم أفكر فى مدائن صالح وأنا مالى وما لمدائن صالح من بغية وما عسانى أن أبلغه بالوصول اليها ، ثم قلت لمدير المركز أنقذنى أنقذك الله واعاهدك أن أرجع أمامك وان شئت فابعثنى فى العربيات التى تسافر الى الشام من قبل الجهات المختصة لتعلم صدقى أنى غير متعمد وليس لى أي هدف سوى التجول والبلوغ الى مدائن صالح من طريق الأردن فاجعلنى (ترانزيت ان شئت) وبلغ عنى المراكز

فقال : لا سبيل وقد رفعنا برقية لاسلكية للحاكم فى عمان بشأنك وكان لسوء الحظ هناك سوء تفاهم بين المملكة السعودية والأردن فى ذلك الوقت بالذات .

أمضيت النهار على أحر من الجمر وخاصة بعدما ذهبت محاولاتى هباء منثوراً ونفدت حيلتى ولم يعد أمامى الا التسليم بالواقع .

قلت للضابط : ياعم أنا رجل تاجر وسائح ولا صلة لى بالسياسة فأرجوك أن تخلصنى ولو بدفع الغرامة أو الضمان الذى تختاره والطريقة التى تخلصنى بأى ثمن كان .

تغير الموقف بعض الشيء فحمدت الله جل ثناؤه ، طلبت من الحرس شيئاً من الماء للوضوء والصلاة فأحضر لى الماء فى قدح كبير شربت ما شربت منه وتوضأت بالباقى ثم صليت المغرب وابتهلت الى الله أن يخلصنى من المأزق .

نادانى الضابط بعد صلاة المغرب وقال : أظن أنك من أهل الحجاز بالسعودية قلت : نعم ، قال : من أي بلد قلت : من مكة المشرفة ، قال : أما تدرى أن رئيس القضاة فى عمان هو من مكة واسمه الشيخ عبد الله سراج قلت : انى خالى الذهن عن رجل الحكومة الأردنية قال ببساطة : الموضوع هين ، اهتف بالبرقية الى رئيس القضاة واشرح له حالك لعله يعرف أحداً من أهلك أو عشيرتك المعاصرة له فيتوسط فى حل موضوعك ، قلت : السمع والطاعة وحررت البرقية بكامل التفصيلات ثم بعثنى مع أحد العساكر الى مركز اللاسلكي فذهبت ودفعت البرقية للمأمور الخاص

بعد الكلمات . وقال : ادفع ثلاثة جنيهات . وكان الجنيه من عملة (البنكنوت)(١) يساوى جنيهاً ذهباً .

دفعت بسخاء ولم أبال ثم أخذت الايصال وكأن باب الفرج قد انفتح فى وجهى اذ انشرح القلب وبدأت أفكر فى شىء أتعشى به لأسد ثغرة الجوع اذ الوقت كان فى شدة الزمهرير وبخاصة الليل فى ذلك الصقع حين يغشاه الصرد ولم أملك من الملبوسات ما يقينى ولا من المفروشات ما يغطينى فسألت الضابط : ياعم متى يأتجواب البرقية ؟ قال : ان شاء الله بعد يومين على الأقل أو أسبوع على الأكثر . قلت : لماذا ؟ قال لأن الاستفسارات بين الدولتين تأخذ وقتاً طويلا لكن ما دمت من أهل الحجاز فسيحل عقدتك قاضى القضاة تحت ضمانه ومسؤوليته اذا ضمن للدولة موضوعك وأمنت جانبك . قلت : كيف السبيل الى العشاء وأنا جائع ما عندى غير القليل من البسكويت والعيش المقدد قال : لا تخف تتعشى معنا ومن قصعتنا وأنت كالضيف حتى يصدر الجواب وان شاء الله نتوخى الخير فلا تخف ولا تفكر والسياح يمر بهم أكثر من هذا

---

(١) « البنك نوت » كلمة انكليزية معناها فلوس ورقية مطبوعة في مطابع خاصة لا يمكن لأي فرد أن يمارس طبع هذه النقود سوى الجهات المختصة أو بتصريح منها ويشترط في الدولة التى تستعمل هذه الأوراق المالية أن يكون لها رصيد من الذهب يغطي قيمة الأوراق المطبوعة كما يضمن هذه الأوراق البنك الدولى العام ، ولكل عملة ورقية أنظمة وقوانين بنكية معروفة لدى المؤسسات النقدية العالمية الخ . والكلمة انكليزية دخيلة على العربية وتستعملها العامة والخاصة وقد بدأ استعمالها في القرن التاسع عشر حينما تداولتها البلاد العربية استعمالا ونطقا وكتابة ، ولا يوجد ما يقابلها في الفصحى لأنها أفرنجية حديثة وقد يمكن استعمال ما يقابلها من ترجمة ، بجملة « أوراق مالية » .

فيجب التحمل فى سبيل الغاية . وكأنه يلقى علي وعظاً فحمدت
الله تعالى وسكن بعض ما بي من الروع ، ثم جاء وقت العشاء
وكنت على وضوء فصليت جماعة اذ اقتدى بى جمع من العسكر
ما بين لا بس رسمي ومتجلبب وكأن عساكر الليل اذا اعتكرت
تجمع بين الشرطيين الرسميين وبين البـدو الذين هم فى حـكم
العسكر الرسمين وكلهم يعملون تحت امرة المستر جلوب الحاكم
العام لجميع قبائل الشمال الذين يسكنون الأردن من المفرق الى
قبيل ذات الحاج أولى المراكز السعودية والبدو يدعونه (أبا حنيك)
ويدعوون زوجتـه (الأرنبة الحمراء) وفى كل مركز من مراكز
الأردن وحدودها له لواء على الأقل يحرسون الحدود ويساعدون
الشرطة الرسمية والعسكر النظامى اذا اقتضت الضرورة كما أنه
محبوب لدى القبائل هناك كما سأقصه عليك فيما بعد .

حضرت القصاع وهى ثلاث واحدة مدت على خوان بداخل
الحجرة النظامية واثنتان بالعرصة وكانت جميعها من ثريد البر
ومكللة بلحم الأرانب :م نادى مناديهم هلموا بسم الله فتوكلت
على الله وتعشيت مع القـوم . ثم مسـحوا بأيديهـم على
وجـوههم وشـعورهم المتدليـة على أكتافهم ثم أحضـروا
القهـوة والشـاي وجعـلوا يتجاذبون الأحاديث السمرية
ويحتسـون القهـوة والشـاي واللبن الرائب أحيـاناً حتى
مضى طرف من الليل ثم انصرفوا وبقيت وحـدى فى الغرفة ـ
ـ قلت فى نفسي ماذا عسى أن يفعل بى الآن وقد ذهب القوم ـ :
ما بين تفكيرى وتحيرى جاء أحد العسكر بلحاف متواضع ووسادة
خشنة وقال ان جاءك النوم فنم ثم لا تنزعج ان فتح عليك الباب
فى أى لحظة من الليل لأن هذه نقطة بوليس وأحياناً يمر بها أكثر

من مسافر فى الليلة وأحياناً لا شيء ، وعند الحاجة نحتاج الى فتح هذه الحجرة لاستكمال الاجراءات وملاحظة الجوازات وختمها فقلت : سمعاً وطاعة ، وقلت فى نفسى لا مرحباً بالمسافر الذى يأتى بعد هذا الوقت .

حاولت أن أنام ولكن لا سبيل الى المنام ، حضرت الهواجس ولعبت بى الظنون وتقلبت الأفكار وتغلب اليأس وجثم الشيطان على صدرى ومنعنى من الرقاد ، فقلت فى نفسى لو تأخر الرد لا سمح الله أسبوعاً أو شهراً كيف أعمل وليس لى معقب فى عمان ولا أعرف أحداً يعرفنى سوى من أبرقت له وليس عندى اليقين الكافى فى اجابته لعدم معرفته بى أو معرفتى به .؟

وأنا كالسرحان بين النائم واليقظان ، ولما تقضى الليل الا أقله وكادت معظم نجومه تتغور ودنا الاصباح ، عركت عينى وقمت محوقلا وخرجت الى عرصة الحجرة فوجدت قدحاً من الماء عليه قطعة من الخشب شربت قليلا ثم توضأت وصليت ما قدر الله لى من نافلة حتى اذا ما لاح مفتوق من الصبح أشقر ، صليت الصبح وأنا كالثمل أتمايل من النعاس ، وما صدقت أن سلمت ثم دخلت وقفلت الحجرة ونمت متوكلا على الله وقد أسلمت نفسى وقلبى وأفكارى لله رب العالمين ، لم أعلم كم نمت أساعة ام أكثر ، واذا بطارق يطرق فانتبهت ثائراً فزعاً وفتحت للطارق وقلت فى نفسى اللهم انى أعوذ بك من أى طارق يطرق الا بخير، وكان خيراً اذ ناولنى برقية وقال : أبشر فقد جاءك الاذن بالتصريح لدخول عمان بضمان مولانا قاضى القضاة فأسرعت الى محفظة النقود لأخرج جنيهاً أقدمه بشارة لهذا الساعى الطيب فأمسك بيدى وقال : والله لا آخذ شيئاً حتى ولا قرشاً واحداً وأنا مأمور

اللاسلكي جئتك بالبشارة هـذه لأن السـعاة لم يأت بعد وقت مجيئهم وأعرفك ولهان لأنه يمكن ألا يكون قد مر بك ظرف أحرج من هذا واني استغربت من سرعة الرد في خلال هذه المدة الوجيزة .

ان هذا بلا شـك من الحظ والتوفيق ، قلت له : ماذا أفعل الآن ؟ قال : ارحل حالا ومن غير مطرود وان شئت فابق عندنا يوماً أو يومين لتجوب هذه الأمكنة وبعض الجبـال ولوشئت أن تنتظر حتى يأتي الضابط وتأخذ برأيه يكون خيراً وأفضل . قلت له : هذا شيء محتوم فان جوازي عنده ولا أعرف أحداً أستأجر منه سيارة أو أي واسطة تنقلني الى عمان ، ثم ذهب المـأمور الطيب وبقيت منتظراً ..

لما أفصح النهار جاء الضـابط متهللا فقد مر باللاسلـكي وسمع الخبر ثم جاء يبشرني ولم يعلم بأني قد بشرت وأني في غمرة من الفرح والجذل ، حيا وسلم وصافح وأمر بالقهوة ظناً منه أني تناولت طعال الافطار .

المهم ، اني استشرته في كيفية الرحيل ، فقال : ما الى هـذا من سبيل ، حتى يأتي أمر مولانا باسلامك الجواز ، أما ضمان مولانا قاضي القضاة فقاصر على حضورك فقط من غير جواز بل بتصريح خاص باعطائك ورقـة مختومة من هنـا حتى اذا ما وصلت الى هناك تراجع وتعقب الى أن يأتي الأمر باخـلاء الحجز عن الجواز فنبعثه رسمياً الى ادارة الجوازات بعمان ، وأما سفرك من هنا فتنتظر حتى تأتي سيارة (تكسي) من الشام ناقصة الحمولة فتأخذك الى عمان أو تمر سيارة تفتيش الحدود فتأخذك بأمر منا .

لم تحضر سيارة الحدود ولا سيارة الركاب ولا خلافها وغابت الغزالة ودخل الليل وكأنه ليل امرىء القيس .

صلينا المغرب ثم العشاء ثم حضرت الجفنات الغر وفيها الثريد والعصيد ولكن النفس غير مشتهية للتناول .

جاملت القوم وجلست على المائدة كجلوس العروس هذا يلقمنى لقمة وهذا يبش فى وجهى ويحثنى على الأكل وذاك يطيب نفسى ولكن مع من ؟ وعلى من ؟ ذلك طبعاً على جسد بلا روح أو على هيكل بلا حقيقة .

جلس القوم بعد العشاء كعادتهم ، البعض يغنى والآخر يرقص والبعض يزمر حتى جاء وقت الانصراف وقد صرع الكرى السمار فانصرفوا وبقيت فى تلك الغرفة لليلة الثانية وأنا أقول فى نفسى لو أجد من يحملنى الى عمان بعشرين ديناراً لما أتأخر عن الدفع .

وضعت جسدى على الفراش وكأنى أضع قدمى على شوك القتاد ، وعظامى تقعقع من الوجل وأفكارى شاردة وأنا أضرب أخماساً فى أسداس وأقول :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى
بصبح وما الاصباح منك بأمثل

فلما انبلج الاصباح وقمت كعادتى ، توضأت وصليت وجلست أنتظر الفرج ، حتى اذا ما ولى ذلك الليل عن صديق أنيق وأشرقت الأرض بضوء الشمس البهيج وتقارب الرأد ، أقبل الضابط يحمل البشرى بوجود سيارة تفتيش الحدود وهى

في انتظارى ، ثم أخذنى مشـيعاً مبجـلا وأسلمنى الى قائدها وأوصاه بى خيراً وأركبني بجواره ثم قال لى : سر فى أمان الله واذا وصلت بسـلامة الله نفذ ما أوصيتك به من نحو موضوع الجواز ، حتى يصل اليك سريعاً ان شاء الله ، ثم قال للسائق : اذا وصلت الى عمان خذه الى حيث يرقد فى أى فندق شاء ثم أسلمنى ورقة المرور المؤقتة ثم نهبنا الأرض نهبا وجبنا الفيافى حتى طار آل الأمعز المتوقد وما هى الا سويعات حتى وصلنا لله الحمد عمان .

ثم استأجرت عربية (تاكسى) وذهبت الى بيت قاضى القضاة فوجدته قد خرج الى مقر الحكم فقضيت نهارى متجولا ما بين الغور وشارع عمان الطويل ، وكانت عمان فى ذلك الوقت قليلة السكان ومعظمهم من فلسطين وسوريا وبها جالية سعودية كبيرة كانت قد نزحت الى عمان أيام نهضة الملك (الحسين بن على) الهاشمي مؤسس النهضة العربية ، رحمه الله .

والجاليـة السـعودية الساكنة بعمان تحـترف بعض الحرف الراقية بالبلاد مثل الصياغة والحياكة والتجارة . ومعظم الصاغة من أهل المدينة المنورة فى ذلك الوقت ، ودكاكينهم متقاربة من بعضها ولغتهم لم تتغير حتى من ولد فى عمان من السعوديين لم تتغير لهجته ، كما أنهم يجيدون اللهجة الأردنية فتجدهم يتكلمون مع الأردني بلسانه ومع السعودى بلسانه ، وهذا مما يسر ويدل على الذكاء والمحافظة .

وعمان عبارة عن شارع طويل بين جبلين ، جبل به قصـر رغدان وهو قصر الحكم ، والجبل الآخر لسـكنى أهـل البـلد والشارع يمتد الى الغور . وفى المسـاء رجعت الى بيت الشـيخ

عبد الله سراج فوجدته جالساً لاستقبال الزائرين فسلمت عليه وأخبرته بخبرى وشكرته على ضمانه وسعيه فى التصريح لى بالدخول الى الأردن واعتذرت له عما حصل من قصور ، وطلبت منه اصدار أمره الى ادارة الجوازات ببعث الجواز . فقال ياولدى غض النظر عن الجواز لأن الملك عبد الله اذا علم أنك قادم من السعودية ولم تحمل تصريحاً من جدة ولا تأشيرة دخول ربما يشك فى أمرك خاصة وأن العلاقات سيئة بين البلدين (فى ذلك الحين) نظراً لقرب العهد من حادث (ابن رفادة) الذى خرج على الملك عبد العزيز رحمه الله ولحق به بعض الغواة من بلى وجهينة وبعض الحويطات من عرب الشمال المقيمين بالأردن وبايعاز منها. ونصر الله الملك عبد العزيز وقضى على ابن رفادة ومن معه (وعلى الباغى تدور الدوائر) .

فأذعنت لأمر قاضى القضاة واستأذنت فلم يأذن لى بل دعانى للعشاء فجلست حتىتناولت العشاء ثم قال : تذهب الآن الىفندقك تبيت فيه ثم تأتى صباحاً الى القصر الملكى لتسلم على الملك وأكون هناك باذن الله ولا تشرح قصة الجواز أمام سيدنا فقلت : سمعاً وطاعة .

وفى الصباح توجهت الى القصر بعد ما علمت بوصول قاضى القضاة والزوار الى رحاب الملك . سجلت اسمى وأذن لى بالدخول فدخلت وسلمت وجلست ودارت القهوة وكؤوس المرطبات ثم أذن للجميع بالانصراف فانصرفت مع من انصرف . ثم تجولت فى مدن الأردن كلها التىمنها (الأزرق) و (السلط) و (اربد) وبعض الضواحى والقرى المتاخمة لفلسطين التى كانت تحت الانتداب البريطانى آنذاك وكانت الجولة ممتعة وقفت فيها على بعض

أحياء العرب الذين يسكنون الأردن وعلى بعض تقاليدهم وعاداتهم وأخلاقهم .

ذهبت الى رئيس طباخي القصر الملكي فى ذلك الحين السيد أحمد العشى ، لأنى أعرف أنه ابن المرحوم الشيخ حسن عشى رئيس طباخي القصر السعودى وابنه الأستاذ أحمد حسن العشى رئيس طباخي القصر الهاشمى بعمان ، ذهبت لزيارته فزرته فى بيته وأعلمته بموضوع جوازى عله يفكر فى مخرج لى باطلاق سراح الجواز المحتجز فى المفرق ، فطمأننى وقال سأبذل جهدى وأتشاور مع بعض من يهمهم الأمر وآتيك بالاجابة لعل الله أن يفرج كربك فشكرته واستأذنت .

وبعد يومين زارنى الأستاذ العشى فى الفندق وأقنعنى بعدم التفكير في موضوع الجواز السعودى مطلقاً وأن كلام قاضي القضاة هو عين الصواب قلت : فكيف لى السفر الى السعودية بدون جواز ، قال : تزور قاضى القضاة صباحاً قبل ذهابه للقصر وستجدنى هناك وأنا أتفاهم مع مولانا ولا تفكر .

حسب الأمر ذهبت صباحاً الى بيت الشيخ عبد الله سراج فوجدت الشيخ العشى قد سبقنى وفعلا قال لمولانا كيف يسافر الأخ الىالسعودية وجوازه محتجز وأشرتم عليه بكذا وكذا ؟ فقال مولانا : اذا صمم على السفر فسأعطيه جواباً للشيخ عبود النجار قاضى (معان) وهو بدوره سيحل المشكلة من جذورها فقلت ياسيدى اذن : الآن أسافر ، أرجوكم اعطائى الجواب .

كتب الجواب وغلقه وأسلمنى اياه فودعته وشكرته وانصرفت . ثم توجهت الى الفندق وحزمت حقيبتى .

السفر الى معان

امتطيت مقعدى بالقطار الحديدى وتوجهت بسلامة الله الى معان وكانت المسافة بعيدة وبعيدة مررنا بما يزيد على عشر محطات ودخل الليل واعتكرت عساكره ودخل العشاء ومضت ساعة بعده . دخلنا معان وكانت غير متحضرة ومبانيها قليلة ، ومعظمها من اللبن ، وذات دور واحد فقط وشوارعها متعرجة وليس بها أرصفة ودكاكينها غير منظمة اذ تجد الجزار بجانب العطار والحداد بجانب البزاز ، وتجد المشترين يقفون على الدكاكين بدوابهم حتى أني وقفت على أحد الدكاكين مرة لأشترى ورقاً وظروفاً فوجدت جملين وحمارين أمام الدكان فقلت لصاحب المحل أللبيع هذه الأنعام ؟ فقال : أصحابها تركوها وذهبوا يبتاعون بعض الأغراض بعد ما اشتروا منى أقلاماً ومحابر لأولادهم وأوصونى أن ألقى البال لحراسة دوابهم حتى يرجعوا فاستغربت من المنظر العجيب . وأما الطرقات ، فلا تعبيد فيها مطلقاً ، ولا عطفات سالكة ولا مسالك نافذة ولا أنوار كهربائية كافية وكان الليل الذى قضيته بها من ليالى الشتاء الزمهريرية ، ولسوء الحظ كانت السماء تجود بالرذاذ مع قطر

سألت عن الفنادق ، فلم يكن لها أثر فى ذلك الليل البهيم وسألت عن المقاهى فاذا هى مكتظة بالبدو الرحل وعساكر أبى حنيك ، دفعت نفسى دفعاً الى قهوة (العم عاشور) القابعة بركن المحطة والتى ضياؤها يعشى الناظرين ، ياعم عاشور ، دبرنى والمدبر هو الله ، أمرى وأمرى ومعى جواب لحضرة القاضى لأجل موضوع جوازى المحتجز ولو كان لى سابق معرفة به لطرقته

ليلا على الرغم من كراهية طروق الضيف لمضيفه ليلا ، فقال ما عندى مكان ومتأسف يا ابنى وانك لا تجد فندقاً يأويك فى هذه الليلة كلها مكتظة بالبدو لأن هناك حركة تجنيد وارسال جيوش على الحدود والمقاهى والفنادق المتواضعة هى التى تغطى عجز الخيام والمعسكرات والحضارة لم تلعب دورها هنا كما تلعب بالمدن الاخرى وأغلب الاجراءات هنا ارتجالية وان شئت فقل بدوية لأن هذه البلاد عاصمة البدو وعسكر أبى حنيك .

قلت : من المستحيل أن أذهب الى القاضى فى هذه الآونة بعد ما هجع الناس وأطفئت الأنوار حتى لو كنت أقرب قريب له ، وهذا المظروف لا يخول لى حق النزول عنده ، انما هو توصية من قاضى القضاة لحل موضوعى المعقد ، قال اذن تمضى باقى الليل على هذا الكرسى ، وياليته من الكراسى التى تمكن الانسان من التمدد أو الاستراحة لكنه كرسى عادى بثلاثة أرجل حديدية أو معدنية ، ثم اشترط شرطاً آخر لاتمام ليلى فى تلك العشة المنزوية والمقهى المتواضعة ، ما هو ؟ كل ساعة (طلب) كمثل مقاهى عرفات وسوق القرين أيام موسم الحج . رضيت بالأمر الواقع وما أطول ليالى الشتاء .

بقيت ساهراً وأى نوم على تلك الكراسى الحديدية وأى راحة وحقيبتى بجانبى وأنا ثائر الرأس جائع البطن بارد الأطراف أشرق متنى متنى تارة وأعصر معجرى أخرى وأنزع جواربى تارة لتجفيفها مما حل بها من رشاش الطل والمطر والوحل ويالى من رجل عجيب ! انى أضحك على نفسى تارة وأزدرى بما هيأته لنفسى من مصاعب وأتعاب لأجل غاية سياحية بعيدة المنال ، ويا ترى أأصل اليها بعد هذا اللأي والعسر ، أم أحسرم وأرجع

بخنى حنين . مضت ثلاث ساعات ، كل ساعة بابريق شاي من الأسود الحالك ذي كوبين وشيشة الحمي الصغيرة ، قلت للمناوب بالمقهى ألا تبدل لى هذا الشاى بما يقابله من الأنواع المنبهة للدماغ ؟ فقال : القهوة الشامية ان شئت ، فقلت أحضرها وأعتقنى من هذا الشاي فأحضر القهوة الشامية على زعمه وكأنها بول حمار فقلت : لا مرحباً بقهوتك ولا بشايك . وسكبتها أمامه ودفعت له ديناراً ليأخذ حساب باقى الطلبات الى آخر الليل ويجعلها رمزية من دون ما تمسها شفتي أو يلعقها لسانى فتناول الدينار وقال الباقى عند مغادرتك المقهى .

على مضض أنهيت تلك الليلة أو ذلك الليل الأليل ، تيممت مع وجود الماء (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) انه بارد متلف ولو مزجته بالماء الدافىء لدفعت ربع دينار (والله لا يحب المسرفين) ومع ذلك أين هو ابريق الوضوء وأين المتوضأ ، صليت ايماء كأنى مريض بألف علة ، (حبل الدين متين) ، أين أضع القدم ؟ وأين أسجد وأنا ليس لى الا موضع الكرسى معناه لو صليت لحملته على ظهرى .

بزغت الشمس وجاء رجل المقهى غير العم عاشور وقال : الحساب ؟ قلت : الحساب؟ قال : دفعت ديناراً والباقى ثلاثة أرباع دينار ، وهذا الباقى يا عم ومع ما بى من غضب وأسف وندم لم أسأله عن موضع المحكمة الشرعية التى يحكم فيها الشيخ عبود النجار والظرف الذى بيدى لم يكن عليه من كتابة الا فضيلة مولانا القاضى ، قاضى معان الشيخ عبود ، لا اسم شارع ولا موقع معين وما أدرى بنفسى الا وأنا فى وسط شوارع غير مخططة ما بين صيوان منصوب فى الشارع أو بيت لبن ومعظمها من

اللبن ومعظمها آنذاك على دور واحد على شكل بيوت (رابغ)
ومقاهى (بحرة) سابقاً ، مضى ثلث النهار القصير حتى اهتديت
ووصلت الى باب المحكمة ودفعت نفسى على بابها مستأذناً بالقسر
فأذن لى (الدرك) وهو الحارس أو الجنـــدى فى لغة الأردن
فدخلت وسلمت على مولانا القاضى رحمه الله رحمة واسعة ففض
الجواب وقبله لأنه وارد من قاضى القضاة وصديق القاضى ثم
هش وبش وقال : الأمر هين لا تفـكر كل الأمور سهلة ، اليوم
تتغدى معنا فى بيت أم عثمان ونتفاهم على كل الأمور .

ثم جلس يشرح لى أسباب نزوحه الى الأردن وبعض ما جرى
له من أهوال وهو بذلك يهون علي مسألتى ثم جاذبنى أطراف
الأحاديث وتاريخ الشخصيات البارزة من آل النجار وآل مرداد
وبعض العائلات السعودية وتاريخ قدومها الى البلاد وكأنه نسى
أنه قاض والعشرات من البدو عند الباب فى انتظار خروجي وهم
يظنـون أنى صاحب قضية ولا يدرون ما فى جوف الفـراء من
صيد .

قلت لحضرة القاضى: أتأذن لى وسأرجع الى سيادتكم بعد العصر
وتعطونى عنوان داركم العامرة ، قال : لا سبيل الى ذلك لأنكم لو
خرجتم ما تدرون الطريق ولا نحظى بكم فى تناول الغداء معنا
وهذه فرصة وجلس الرجل الكريم يبش ويتهلل ويأمر بالقهوة
العربية والشاي الحجازى الجميل ، ويأتى ببعض الشواهد العربية
من الشعر والأمثـال حتى أنسـانى كل أتعابى وحتى أذهلتنى
الأحاديث العذبة الجميـلة وأنشطتنى وجعلتنى أسـترد ذاكرتى
وأجمع شتات أفكارى حتى لقد مضى الثلث الثانى من النهار ولم
أدر كيف مضى ، رحمك الله يا شيخ عبود ، وعبود (هذا) هو

ابن المرحوم العالم العلامة الشيخ أحمد النجار من كبار علماء الطائف ، رحل الى الأردن مع الملك عبد الله بن الحسين وجلس بالمعية الهاشمية وأتم دراسته هناك وتولى القضاء فى عمان ثم نقلت وظيفته الى معان لقربها من الحجاز وليأنس بالقادمين من هناك أولا بأول على حد تعبيره رحمه الله وكان نقله الى معان بالحاح منه للملك حتى أصدر أمره بنقله .

خرجت مع الشيخ عبود وقال للبدو عند باب المحكمة : هذا الغريب قضيته عويصة جداً وتستدعى السفر معه الى الضواحى ولهذا راجعونى غداً ان شاء الله ثم ابتعدنا عن أنظارهم فالتفت الي مداعباً وقال : كل يوم وجهى فى وجوههم وأنت ضيف عزيز ومواطن موصى عليك من قاضى القضاة وعائلتكم لها صلة كبيرة بعائلتنا كما أن والدى المرحوم كان زميلا لجدك عبد المعطى مرداد وابن عمه المرحوم الشهيد (عبد الله) قاضى مكة المشرفة فى أيام الحسين كذلك ، وجعل يقص علي القصص حتى نقطع الطريق الطويل ونصل الى بيت أم عثمان بدون أن نحس وأنا أتلوى من الجوع لأنى لم أتناول طعام الافطار سوى ما التهمته وطعمته من كؤوس القهوة والشاي والأحاديث النجارية .

وكان الشيخ عبود متجلببا بجلباب بدوى ومتحزماً بشال من الصوف الكشميري ثم جبة من الصوف الأحمر الأنقورى وعمامة ألفية جميلة وينشر على كتفيه شالا من الصوف والريح الباردة المرفقة بالغبار ترفع هذه الجلابيب الى حدود الركبتين ثم تنفضها وتجعلها كالمظلة أو الخيمة المعمدة بأرجل متحركة .

وصلنا الى بيت أم عثمان ، وحضر الغداء وتناولناه ثم القهوة والشاي ثم أمر القاضى بتجهيز غرفة خاصة للضيف

السائح فيها سرير ومفرشة عربية وسجادة صلاة وبعض الكتب الدينية المنتشرة على الرفوف ثم شيعني الى الغرفة وقال نم هادئاً وسأوقظك قبيل المغرب فأومأت شاكراً من شدة التعب والسهر ثم ألقيت بنفسي على ذلك الفراش الوثير الهادىء الدافىء وتلحفت بعباءتي ونمت نوماً عميقاً ونسيت كل شيء .

نبهني قبيل المغرب كما قال ، ثم أمرني بالصلاة وقد فات الوقت فصليتها فائتة وأذن المغرب وجمعت بين الصلاتين مقلداً أحد المذاهب لأنه لا جمع عند الأحناف ولكن للضرورة أحكام ثم رتبت كؤوس القهوة وخرجنا الى الصالون العام أو بهو المنزل وقد جلس الشيخ وحضر الزائرون والمراجعون ومن لهم قضايا خاصة أو مراجعة لبعض الشؤون ودارت الأحاديث الشيقة وطاب السمر وأراد الزوار والصحب الخروج فلم يأذن لهم الشيخ ثم حضر العشاء (السليق) الأكلة المحببة فى الطايف ثم قال تتعشون الليلة معنا على شرف الضيف السائح فبهرت خجلا وانفلتت مني وضاعت أحاديث الشكر وكأني ألجمت بلجام من المعروف وكرم الوفادة .

ودعنا الصحب وذهبوا الى بيوتهم وكل منهم يريد دعوتي فأحلتهم على الشيخ والشيخ يقول لا اجابة الا بعد ثلاث وكأنه يقصد أن أقيم ثلاثاً عنده ثم بعدها أتناوب الضيافة مدة اقامتي وخاصة بعد ما أطلق علي لقب (ضيف القاضي) ، ثم انحنى علي الشيخ مسراً بكلمات لا يسمعها الخدم والصبية ، غدا غداؤك فى بيتي الثاني فقاطعته الحديثقائلا : يامولاى ما أسديته الي من معروف يكفيني ولا أحتاج الى اقامة أكثر مما قضيت ورجائي أن تسهل أمري بالسفر الى السعودية غدا صباحا على الأكثر ولو

تأذن لي قبل ذلك أكون ممنوناً فضحك الشيخ وقال الى هذا الحد أنت زعلان منا ، قلت : ولكن لي صديق في تبوك يريد أن يصحبني الى مدائن صالح ولو تأخرت لما وجدته وأقصد بذلك الشيخ عبد الله بن غريض وما جرى بيني وبينه من حديث وموعد ولقاء هناك قبل سفره للموسم لبيع الماشية، فقال : ان كنت مصراً ففي الصباح يحلها ربنا ، وفي الصباح ذهبت معه الى المحكمة وتوسلت اليه أن يرحلني بأي طريقة ، فقال : ما هناك طريقة ولا طرق .

المستر جلوب(١)

الحل الوحيد هو أن أحرر لك جوابا بخطي وتحت ضماني

---

(١) له أسماء كثيرة عديدة عند القبائل وأشهرها هذا الاسم وكل قبيلة تناديه باسم خاص وهو يجيب على الكل ولا يعترض كما سيمر بك وكذلك زوجته ، وأما اسمه الحقيقي على ما بلغني من بعض خواصه فهو (الكولونيل فردريك) وهو أخ للورانس الشهير ، وهذا الكولونيل شهرته (بيك باشا) وهو الذى لعب دوراً مهماً في تكوين الفيلق العربي الشمالى بل هو الذى أسسه وكان يعمل مستشاراً للملك عبد الله بن الحسين أمير الأردن حينما كانت الأردن امارة وهو النائب الأول للملك وبيده مقاليد الأمور بل هو الذى أسس الامارة الأردنية وفصلها عن فلسطين وله معرفة كبيرة بقبائل الشمال حتى أنه ألف كتاباً في قبائل عرب الشمال لكنى لم أنقل منه شيئاً لأنه غير ثقة عندى وهذا مذهبى كمذهب ابن جرير الطبرى رحمه الله اذ قال لا تنقلوا تاريخ العرب من غير العرب لأنه لا يخلو من الدسائس ، وكذلك لم أسجله فيمن سجلتهم من مؤرخي العرب مع ملاحظة أنى سجلت أمين الريحاني فيمن تجول في بلاد العرب وكتب عن بلاد العرب ولكنى لم أعتمد عليه في نقل واكتفيت بوقوفي وسؤالى للرعاة والخبراء النازلين بقرب الأمكنة الأثرية ، والمستر المذكور من أهل لندن ببريطانيا وله تاريخ حافل ويبلغ من العمر ٥٣ عاماً حينما كنت في هذه الجولة الاكتشافية في عام ١٣٥٧ هـ ويتكلم العربية بطلاقة على لكنة بسيطة وأحياناً يتهته وزوجته أقل فصاحة منه .

الى القائد (أبى حنيك) المستر جلوب الأمير والقائد العام للقبائل الأردنية والحدود وأخبره بأنك رجل سعودى من سكان المملكة العربية السعودية وسائح ومكتشف ومؤرخ وتريد السفر الى مدائن صالح عن طريق الحدود الأردنية وليس لك أى صبغة سياسية وأنك حضرت الى عمان بجواز سعودى ، وفقد منك وأطلب منه أن يعطيك ورقة مرور وشهادة بفقد الجواز وبدون ذلك لا تقبلك البلاد السعودية مهما حاولت ، فأذعنت للأمر الواقع وتسلمت الجواب وقلت له : ابعثنى الى محطة السيارات أو السكة الحديدية أو الى أى مواصلة فقال : ما هناك مواصلات الا سيارات الحدود توصلك الى مقر المستر جلوب وسأبعث معك دركياً من قبلى يركبك بجانب سائق سيارة عسكرية مكرماً مبجلا موصى عليك ، فودعت القاضى وتشكرت منه وبيدى الجواب المغلف للمستر جلوب وعليه ختم محكمة معان وختم القاضى .

أمسك بيدى الدركي مترفقاً بى ، وحاملا حقيبتى وبعض ما أوصى به القاضى من مشتريات وأمتعة ، الشىء الذى لا أعلم عنه الا فيما بعد ، ثم سألت الدركي ماذا تريد أن تشتريه لى ؟ فقال : أعطانى القاضى نقوداً وأمرنى أن أشترى لك بسكويتاً وبعض المعلبات وقهوة ناشفة وسكراً وشاياً وفاكهة وسأجعل الجميع فى (كرتون) غلاف من الورق السميك المقوى وأربطه بحبل وأجعله لك على ظهر السيارة وأفهم السائق بذلك فقلت له : لماذا ؟ وكنت أظن أن المستر جلوب فى نفس معان فقال : لا ولكنه فى (قلعة المدورة) .

وهى بالألف المفتوحة واللام الساكنة والميم المضمومة والدال المفتوحة والواو المفتوحة المشددة والراء المفتوحة والتاء الساكنة ، قلت : فأين قلعة المدورة ؟ قال : ساعات قليلة وتصل بالسلامة ثم ذهب الى السوق واشترى ما شاء أن يشتريه وملأ الحقيبة الورقية مما شاء أن يشحن ، وأحكمها ربطاً كما اشترى حافظتين من الألمنيوم الممغطس الذى يحفظ الشيء حارا أو باردا لمدة معينة ، وملأ احداهما قهوة دافئة سخنة من بعض المقاهي الراقية ، والأخرى من الشاي الساخن اللذيذ فأخرجت محفظة النقود لمحاسبته فقال : كل هذا على حساب القاضى ، وبالصدفة كانت فى السوق احدى عربيات الجيش مشحونة بالعسكر ،فوقف عليها الدركي وأسر الى السائق ببعض الحديث فنزل السائق ، وسلم عليّ ثم أمر الضابط الذى كان راكبا بجواره أن ينزل ويركب على سطح السيارة مع الجنود ثم قال لى : تفضل . وأجلسنى بجانبه ثم ودعنى الدركي ومشى .

غادرت السيارة باسم الله مجراها وهى من نوع « الونيت » فنهبت الأرض نهباً وسائقها كان جباراً لا يبالى الرمال ولا بالحزون ولا بالحرار ، وكان الوقت ظهراً ، مضت ساعة ثم ساعة وأنا أقول فى نفسى لعلنا وصلنا ان شاء الله ، دخل العصر وارتبكت واصفررت وقلت للسائق : ألا تصدقنى أين هى المدورة ؟ فقال : لحظات وتنزل ان شاء الله ، وفعلا ، بعد ساعة من قوله نزلنا من العربية فى وسط مفازة لا يعلم قرارها الا الله وكان الوقت مائلا الى الغروب .

لم يتكلم أحد من الركاب ولم ينبسوا بكلمة ، أنزلوا من العربية قربة ماء وبدأوا يتوضؤون وأنا معهم ثم صلينا الظهر والعصر جمعاً ، ونحن نسلم غابت الشمس ، قال السائق : ننتظر برهة لنصلى المغرب والعشاء جمعاً ثم نمضى ان شاء الله ، قلت : فأين هى المدورة ؟ قال : على رسلك ، أنت الآن فى صحراء النقب وعسى الله أن يخرجنا منها سالمين من دون ما نغرز فى الرمال أو لا سمح الله يحصل حادث فى العربية من كسر أو نحوه وليس معنا قطع غيار لأن القطع فى عربية أخرى وعساها تنطحنا (أى تقابلنا) ونحن هنا لنأخذ منها لساتك وكفرات لانى لست بواثق أن هذا الونيت يوصلنا الى المدورة . قلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون ، الله ينجينا وينقـذنا ويوصلنا سـالمين ، ثم أذن مؤذنهم للمغرب فصلينا الجمع ثم قلت للسائق : متى نتعشى ؟ فقال : بعد ساعتين . وكأنه يطعننى بسكين من هول الكلام وقد دهمنا الظلام وجاعت البطون ووجلت القلوب وما للرجال عن القضاء محالة .

امتطينا السيارة وأنا بجانب السـائق الحـادى الذى أمضى الطريق فى الأناشيد البدوية التى تشبه حداء الابل وكأنه شيخ الحداة ، لم يفتر لحظة من الصياح ، بعد ساعتين وقف بنا على كثيب ونزلنا ونزل القوم وجمعوا شـيئاً من الحطب وأجزلوه ضراماً ثم أخرجوا قصعة صغيرة وسكبوا فيها من الدقيق وعجنوه بعد اضافة شىء من السمن لتّوه بذلك الدقيق وأخرجوا مجرفة كبيرة مدوا عليها العجين المبسوس وأدخلوه فى الضرام وطبخوا القهوة والشاى ثم مدوا جلدة كسبت اليمانى أو ثقال الرحى ، وفتتوا عليها الخبز وأداروا أكواب القهوة والشاى وشيئاً من

التمر ، ازدردناه والتهمنا كل شيء برز على ذلك الخوان وحمدنا الله وركبنـا السـيارة ، وكان الليـل قـد قارب الانتهاء فأردنا التعريس لكن السائق الحاكم بأمره منعنا من التعريس ونهب الأرض حتى طلعت الشمس وقارب الاصباح أو طلع .

وقف السائق وأمر بالنزول فنزلنا وتيممنا ثم صلينا بغلس وعاودنا المسير حتى جاء الضحى واذ ببناية تبدو وكأنهـا علم معلق في الفضاء ، سألت السائق عنها فقال : هذا الجفر وسنقف فيه قليلا نفطر ونتقهوى أي نتناول القهوة والشاي بعد الافطار ، ثم قال : لو وجدنا المستر جلوب هنا لكان خيراً لك اذ تتم راحتك ويسنعك من هنـا ومعنى يسـنعك : يقضي أمورك كلهـا حتى تغادر الحدود .

وصلنا الجفر قبيل الظهر واذا هو حصون وخيام عسكرية وبعض مدافع على قواعدها راسية أمام بعض القلاع والخيام ، نزلنا بمفردنا ورحالنا على ظهـر السيارة ، فاستقبلنا القـوم هناك ورحبوا بنا ومدوا لنا طعام الافطـار ، وكان تمراً نقيـاً وخبز ملة وزبدة طازجة وأقـداحاً من لبن النياق ثم القهـوة والشاي .

ثم لمـا صار ظل كل شيء مثليه وحان العصر توضأنا وكان الماء كثيراً ولعله من أرتوازى محفور عنـدهم ، ثم صلينا صـلاة الجمع وربنا يتقبل ان شاء الله ، ثم سأل السائق ، الشاويش أو (المقدم) ومعناه عندهم من يتقـدم أمور العسـكر ويصرف لهم المعونة والمعاش أو من ينوب عنهم فى محادثة أبى حنيك ، سأله : هل يوجد الوالد وهو لقب لقبه به بعض البدو ، فقال الشاويش هو في المدورة .

غادرنا الجفر وسرنا الى المدورة فوصلناها بعد منتصف الليل مع العلم بأن السائق كان يجرى على سرعة مائة وأحيانا على ١٢٠ ، وصلنا متعبين منهكين مجهودين ، وحطت رحالنا واستقر بنا المقام في احدى الخيام المنصوبة حول قلعة المدورة . وقابلنا بعض الدرك من لابسى البياض فرحب بنا وحضرت القهوة ثم ما تيسر من طعام معلب محفوظ ثم نمنا نوماً عميقاً حتى اذا ما أقبل الصباح أذن المؤذن فصلينا صلاة الغداة مغلسين وأعدنا الكرة على الفراش حتى اذا ما علت الشمس قمم الجبال تنبهنا وقد حضر الافطار فتناولناه ثم القهوة والشاي ثم عمدني السائق أن آخذ الأهبة للقاء المستر جلوب بعد التيقن من وجوده ثم أخبر رئيس الحرس بموضوعي فقال : استعدوا وسأخبره وآتيكم ثم غاب دقائق معدودة ورجع فاصطحبنا معه الى القلعة أنا والسائق وبعض الضيوف من الحدود .

قابلنا وصافحناه في داخل قلعة المدورة وكانت زوجته بجانبه وكلبها الصغير في حجرها تربت على ناصيته ، ثم ناولناه مظروف الشيخ عبود ، فضه وقرأه ثم أمر الكاتب الخاص بتحرير وثيقة تشهد بفقدان جوازى وتسهل لى مهمة المرور واجتياز الحدود فكتبها الكاتب ووقعها المستر جلوب وأسلمني اياها ثم قال أنت ضيفنا الآن وجعل يسألنى من هنا وهناك وقال : أنت قد رحلت الى هذه البلدان وعندك كل خبر . فأنت جهينة الأخبار .

فأجبته : بأني لست سياسياً ومهمتى تنحصر كلها فى السياحة ، ومعرفة الآثار القديمة سواء منها ما كان فى البلاد السعودية أو ما كان في غيرها من البلدان العربية والأجنبية ولا

تعلق لى بأمور السياسة مطلقاً وشرحت له طرفاً من قصة حياتى ومغامراتى السياحية .

خليـج العقبة

فاقتنع وقال : ما دامت هذه مهمتك فهـذه سيارة الحـدود ستسافر الى العقبة فان كان لك رغبة في الوقوف على هذا الخليج وهذه البلدة فأخبرنى لأحرر لك جواباً لقائد المنطقة هناك ليكرم مثواك اذا وصلت فأجبته : نعم . فأمر الكاتب بتحرير الخطاب وأسلمنى اياه ثم نادى سائق العربية (الونيت) فأوصاه بى خيراً ثم حضرت مائدة الغداء وهى عربية محضة ، بسط الخوان على الأرض ، ووضع في الوسط قاعدة خشبية أشبه بخشـبة اللحم أو (الوضم) المستدير ، ثم جاءوا بقصعة عظيمة يحملها أربعة رجال ، ووضعوها على القاعدة وهى مملوءة أرزا أصفر ، ثم جاءوا بتمر كثير نثروه على الخوان وصـفوا أقـداح اللبن الرائب ثم توسط أبو حنيك مائدة الطعام ونادانى ثم نادى نحواً من ثلاثين من أتبـاعه وخواصه ووزرائه ثم قال : (تفدلوا يقصـد تفضلوا وشـمر عن ذراعـه وغاصت يداه فى السـنام وامرأته معه وجعـل يأكل ويقدم لى قطع اللحـم ويرمى ببعض القطع من العبيط والسديف لبعض خواصه ولم يطلب ملعقة ولا شوكة ولا فوطة وكذلك الزوجة . انغمست فيما انغمس فيـه القوم ، وأكلت مثلهم واغتبقت من أقداح اللبن ، ثم استأذنت فى السفر الى العقبة فرضي ثم قال رجوعك الىهنا ومن هنا سوف تسافر الى السعودية ثم أمرنى السائق أن أركب بجانبه ففعلت، وأودعت حقيبتى وملابسى الثقيلة فى المدورة وسرنا الى العقبة

وكان الطريق وعراً كله رمال وسبخة ، وسلك السائق طريق الساحل بعد ما قطع مسافة طويلة .

وصلنا العقبة واستقبلنا قائد المخيم الخاص بالمستر جلوب . وفي الصباح وبعد الافطار صحبني نفر منهم الى داخل مينا العقبة ، ثم مر بي على مخيمات أبي حنيك ثم السوق والقلاع والحصون طوال النهار ، وفي الصباح سرت الى الونيت الخاص بمعسكرات الحدود وما هي الا لحظات حتى وصلنا ساحل ايلات ونفس الشيء من هضبة الى هضبة ، ومن مخيم الى مخيم حتى جبنا الساحل كله ودخلنا أسواق البلد .

ذات الحاج

وبعد ما مكثت بالمدورة ثلاثة أيام هيأ الله بسيارة (ونيت) تابعة لأبي حنيك ، لا أدري لماذا قامت أو لأي غرض كان سفرها الى ذات الحاج ، اذ بينما كنت في صبيحة اليوم الرابع من حين رجوعي من العقبة وبينما أنا أتناول قهوة عربية في أحد المخيمات اذ برسول المستر جلوب يدعوني فأجبت واذا بالمستر على باب صيوان كبير وهو ينادي : حظك قوي يا كشاف ياالله هذا ونيت مسافر الآن الى (حاج) يسلمك لأميرها ، وأنت بدورك تتفاهم معه على كل ما حصل لك وما تريد أن تعمله ومع السلامة . ثم ودعني وودعته وقدمت آيات الشكر على الحفاوة بي وكرم الضيافة وتسهيل ما صعب علي من اجراءات . ثم نادى (المقدم) وأسر اليه بكلام فجاء الي وقال : أين حقيبتك وأغراضك؟ فأشرت اليها بأحد المخيمات فأمر واحداً من العساكر بحملها الى الونيت وأركبني بجانب السائق وقال زمزمياتكم ملأناها بالقهوة

السخنة والشاي ومعكم كرتون فيه بعض معلبات وبسكويت وفاكهة . قامت السيارة من المدورة فى الساعة العاشرة صباحاً بالتوقيت الافرنجي وظلت سائرة الى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ثم وقف السائق على هضبة مظلولة بعض الشيء فنزلنا ونزل بعض من بسطح الونيت وجمعوا شيئاً من الحطب وأجزلوه ثم أضرموه وعملوا القهوة والشاي وقرص المجرفة الضخم وفتحوا علبتين من الجبن وتناولنا ما تيسر واسترحنا قليلا الى أن صار ظل كل شيء مثليه .

تيممنا وصلينا صلاة الجمع ثم امتطينا الونيت ونهبنا الأرض نهباً وشققنا الحزون شقاً حتى اذا ما مالت الشمس الى الغروب اذ بذات الحاج تلوح لنا ، والسائق يقول : أبشر فقد حان الوصول فوصلناها في الساعة الخامسة والنصف بعد أذان المغرب بقليل وكان اليوم السابع من شهر ذى الحجة عام ١٣٥٨ هـ .

وقف الونيت على باب المركز وكأنه مركز أم السلم بطريق جدة . أنزلنى السائق وأنزل الحقائب والكرتون ثم كلم المأمور السعودى بشأني فطلب منى المأمور ابراز الجواز فأخرجت الوثيقة التي أخذتها من المستر جلوب ، فقال لسائق الونيت : أرجع هذا الراكب من حيث أتى أو يدخل السجن حتى يأتى أمر من الرياض بدخوله البلاد السعودية وجلس المأمور يخيرنى بين الحالتين وتجادلت معه فى حوار حاد حتى أقبل رجل مهيب لابس جلباباً وعقالا وبيده مسواك يلجه فى فمه تارة ويخرجه أخرى ، فقام المأمور اجلالا وحياه وجعل يقص عليه قصتى ويسرد عليه حكايتى فالتفت الي الرجل قائلا : ويش علمك ؟ علمنى

بالصحيح . قلت له وقد تغلب علي الغضب : من الأخ ؟ فقال : أنا أمير ذات الحـاج ، (أحمد الأشيقح) فقلت في نفسي ليتني لم أغضب اذ لعل غضبتي تزيد من حدة التوتر والاصرار على ارجاعي

فبدلت غضبتي بليان ، واستعطفت سعادة الأمير ، ورتلت بعض العبارات الانشائية وقصصت قصتي وما جرى لي وكيف فقد جوازي ، وما تجشمته من أهوال وأخطار في سبيل الوصول الى مدائن صالح وجعلت أخفض من صوتي وأستعتب الأمير السعودي عله يقبل العتبى ويغفر الزلة ويتجاوز عن الغلطة ويقلع عن الاصرار برجوعي ثانية الى الحدود فأكون سيء الطالع وعاثر الجـدود وراجعـاً القهقرى بالوجـد وخفي حنين ، كل ذلك في سبيل الوصول الى مدائن صالح ولسان حالي يقول متمثلا :

كيف الوصـــول الى ســعاد ودونهـا
قلل الجبـــال ودونهن حتـــوف

فما كان من الأمير الـكريم الا الصفح الجميل وقبول العـذر اذ فاجأني قائلا : أبشر ، ثم قال : من حظك الطيب أن غداً تأتي سيارة الحدود التابعة للمملـكة العربيـة السعودية لتنقلني أنا والحاشية الى تبوك لقضاء اجازة عيد الأضحى هنـاك وستكون برفقتنا ان شاء الله ولولا هذه الفرصة الطيبة لمكثت هنا شـهراً على الأقل حتى تكون مناسبة لمجيء سيارة التفتيش الخاصة بالحدود أو تجد مكارياً تستأجر منه ناقة تنقلك الى تبوك وتمضي يومين أو أكثر في الطريق ، والمسألة الثانية اذا وصلنا تبوك فسيتولى حل مشـكلتك أميرها سـعادة الأمير محمد بن سلطان كما أني سأوصيه خيراً بك ان شاء الله .

ثم أكرم نزلى اذ قضيت ليلة كريمـــة معه فى داره العامرة وأصبحنا يوم الثامن من ذى الحجة وتجولنا قليلا فى ذات الحاج ووقفنا على ما فيها من ماء وزرع ، وجاء الظهر وتناولنا الغداء على مائدة الأمير ، وكانت الأكلة نجدية بحتة اذ تضم قصعة من المرقوق المكلل بالقديد من لحم الغـــزلان ، كما تضم قصـــعة من الجريش ، والجريش عبارة عن قمح منزوع القشرة ومدقوق بعض الشيء ثم يطبخ طبخاً جيداً ويعصد حتى يشبه العصيد ثم يضاف اليه السمن وهو من أكل العرب القدماء وجاء فى قصائدهم كما أنشد الأصمعى لشاعر جاهلى راجز ، من قصيدة :

سمنتها بالجـــريش أمهـــــا　　　　كي تبتغى عزباً يشمها

وبعد الفراغ من تنـــاول الغـــداء والقهوة والشـــاي أقبلت السيارة الحمراء وكأنها علم يرفرف من بعيد فقال الأمير : هذه العربية قد حضرت فطار القلب فرحاً لقدومها .

وما هى الا ساعة من أصيل حتى أتم القوم تجهيزها وجعلوا فيها أوعيتهم ومتاعهم وحقائبى مع رحالهم توسط سطح (الونيت العسكرى) وركب الأمير بجانب السائق وأركبنى بجواره وأمر (الخويا)(١) بامتطاء ظهـــر العربيـــة فركب جميعهم وسرنا عـــلى

---

(١) كلمـــة الخويا بضم الخاء وكسر الواو أو بكسر الخاء والواو معاً ثم ياء مشددة مفتوحة بعدها ألف . هذه الكلمة تستعملها بادية نجد فى معنى البطانة أو الحاشية للملك أو الأمير والوزير ويقولون للمفرد خوى بفتح الخاء وكسر الواو .

بركة الله ميممين تبوك ، وكان الأمير يحدثنا فى الطريق عن أسماء الأمكنة وقصص البدو ، وما الى ذلك حتى قطعنا المسافة الطويلة الشاقة من دون أن نشعر أو نحس بوعورة الطريق لأنها ليست معبدة اذ كان الغبار يغطي الجو أحياناً والحصى يتطاير تطايراً والحزون التى ترج العربيـــة رجاً شـــديداً ، وتجعل عجلاتها تئن وتزن وهو ما يسميه العامة (البطناج) .

وصلنا تبوك ليلة التاسع من ذى الحجة أذان العشاء وقبل أن نلج البلد نزلنا لصلاة الجمع ثم شربنا ماء وقهوة ورجعنـــا للعربية حيث مشينا بضع دقائق حتى كنا بباب الأمير (بن‌سلطان) بتبوك .

نزل الأمير (الأشيقح) والحاشية وأنزلوا ما على ظهر السيارة من أمتعة وحقائبى حيث نزلنـــا جميعـــاً دار الضيافة عند سمو الأمير ، ثم أسر الي الأمير أحمـــد الأشـــيقح بألا أتكلم عن شيء مطلقـــاً ســـوى السلام وما يتعلق به وهو سيتولى افهام الأمير عن موضوعى ثم قال لى : موضوعك صعب جداً وعسير للغـــاية لأن عندنا أوامر ملكية بارجاع من يأتى من هذه الحدود أو سجنه لكن لله الحمد كانت الظروف مواتية وفرصة العيد الأكبر مناسبة لقبولك ولعلى اذا أفهمت الأمير يحسن الوساطة ويتولى الابراق لجلالة الملك عبد العزيز ، فأذعنت لما قاله أمير ذات الحاج ، ثم استقبلتنا عند مدخل الامارة حاشية الأمير ، ثم رقينا المصـــعد الحجرى الى مجلس الأمير بن سلطان حيث كان واقفـــاً مع بعض مستشاريه ينتظرنا كما كان بمجلسه مدير شرطة تبوك أحمد فراش ، وقائد حاميـــة الدفاع أحمد بدوي وهو والد فيصـــل ورايف كما كان مدير ماليتهـــا الشـــيخ أمين كركدان ومدير

اللاسلكى السيد طه ياسين ، والمهندس عوض وحمزة عشقان ونخبة من أهل تبوك فسلمنا جميعا على سمو الأمير وحاشيته وبقية الصحب والموظفين .

ثم ان الأمير أحمد الأشيقح جلس بجانب الأمير بن سلطان وجلسنا جميعاً على السجاد الفاخر والمتكآت النجدية الجميلة ، حيث أديرت أكواب القهوة والشاي وألوة الطيب التى تروح وتؤوب مرات عديدة ، وما أجملها من عادة لطيفة لذيذة وخاصة اذا كان البخور جيداً وجزله من العود الهندى الفاخر ، ثم ان الأمير الأشيقح أسر الى أمير تبوك ببعض الحديث وكان يرجع بصره نحوى أثناء الحديث حتى حدقنى الأمير ابن سلطان وجعل يتبع نظراته الي حتى فرغ الأمير من حديثه السري ، وأنا أقول ياستار ، الليلة عيد الأضحى وياهل ترى ماذا سيكون من أمري أيزج بي تى غياهب السجون أم أكون من المنطلقين ؟ وجعلت أتخيل وأفكر كثيراً وأضرب أخماساً في أسداس حتى اذا ما زاد قلقي وتحيرى نادانى الأمير الكريم ابن سلطان فقمت اليه خائفاً أترقب مصيرى ومآل أمرى ، فما كان منه الا أن أفسح لى بجانبه وأجلسنى وجعل يحدثنى ويلاطفنى ويبش فى وجهى حتى أدخل على قلبي السرور والطمأنينة .

ثم قام الى صالة الطعام وقام معه أمير ذات الحاج وقام كل من بمجلس الأمير من موظفين وحاشية حيث جلس الأميران على المائدة وجلست قريباً منهما ، ثم بقية البطانة ، وكانت مائدة فخمة (الأرز الهورة الأصفر) على قصعة عظيمة يتوسطها سنام أصفر وقطع عظيمة من الجزور ، ثم قصاع صغار فيها ما فى الكبيرة غير أن لحومها من الدواجن الصغيرة وأنواع كثيرة من

الايدام والفاكهة فتعشينا ثم رجعنا الى المجلس الأول حيث تناولنا القهوة والشاي والطيب ، ثم قام الأميران وقام الجميع وأخذني أمير ذات الحاج الى غرفة بجانب غرفته فيها فراش وثير وأمرني بالنوم فنمت نوماً هادئاً حتى الفجر ، ثم ثار كل من بدار الضيافة للخروج الى الصلاة ثم الذهاب الى صلاة العيد فتطهرنا جميعاً وخرجنا للمشهد ، حتى اذا ما تمت الصلاة والخطبة ذهبنا جميعا الى دار الامارة حيث أديرت القهوة والشاي والحلوى والمرطبات ثم أسر الي أمير ذات الحاج أن ألقى كلمة يكون لها وقع جميل فى النفوس وتكون بمثابة كشف لأمرى حتى يثق الأمير بصدقي ويتحقق ما قاله أمير ذات الحاج من قول بشأني وبراءتي فتوكلت على الله ولم أكن قبلا ممن يخطب أو يتكلم فى حفل لكن الحاجة ماسة والضرورة أحوجت فارتجلت كلمة أظنها قوبلت بالاستحسان !

ثم بعدها صافحنى كلا الأميرين وأبشا وبشراني بقضاء حاجتي ، ثم ذهبنا الى الاستراحة حتى كان وقت الغداء وقد حضر أهل البلد من موظفين وتجار وسياح كانوا جميعاً مدعوين للمأدبة العظيمة مأدبة العيد الكبير ، وكانت تحوى ما لذ وطاب وكنت محل الحفاوة والتكريم من الجميع اذ كان القاء الكلمة قد أعارني انتباه الجميع حتى صار كل رئيس عمل يوجه الي دعوة فقبلت أول دعوة بعد أخذ الاذن من سمو الأمير وكان الداعي الشيخ أحمد فراش مدير شرطة تبوك فتوجهت الى داره وكان يقيم بجناح من دار الشرطة بالقلعة فذهبت معه وبت عنده ثم كان الغداء فى اليوم الثاني اذ دعا لفيفاً من الموظفين وكانت المفاجأة .

بعد الغداء أخبرني بأنه استأذن سمو الأمير أن أكون عنده

حتى يأتي الأمر بسفرى من تبوك ، فقلت : ولماذا أنتظر الأمر ؟ فقال : أما تدرى بأنك سجين وما أشعرناك حتى لا تغتم ؟ وكانت الكلمة التى ألقيتها يوم العيد بمجلس الأمير سبباً فى اطلاق سراحك، وكان أمير ذات الحاج أوصى بك أمير تبوك خيراً وأوصى بالتوسط فى حل مشكلتك سريعاً وأن سمو الأمير أبرق لجلالة الملك عبد العزيز بشأنك وكلنا ننتظر الرد بفارغ الصبر ـ ثم الذى غمنى أكثر فأكثر هو غياب ابن غريض ، الرجل الذى قال لى انه فى انتظارى بتبوك ولم أجده ، وسألت عنه فقيل لى انه من الرؤساء وتجار الماشية وذهب للموسم ولم يرجع .

جلست فى تبوك أياماً كثيرة منها أيام العيد الثلاثة ، وكان معى أمير ذات الحاج وبطانته وبعض الضيوف من الحدود الذين حضروا لقضاء عيد الأضحى ثم سافروا جميعاً بعد الرابع بعدما بشرنى أمير ذات الحاج بأنى سوف أسافر الى مدائن صالح معززاً مكرماً من قبل أمير تبوك وأنه أبرق للملك بكلام حسن وبمجرد وصول الأمر سوف أغادر البلاد ثم ودعته وبودى لا أفارقه لأنه أدخل علي السرور من حين وصولى الحدود السعودية الى يوم الفراق ثم كان البين وغادر تبوك بصحبه الى مقر عمله وبقيت وحيداً منتظراً للفرج .

وفى كل يوم أتلقى دعوة من السعوديين الكرماء كما نقضى شيئاً من السمر فى الادارة اللاسلكية حيث نستمع الى بعض الأغانى من الميكروفون اذا لم يكن هناك ارسال أو أخذ كما كنا نستمع الى صوت أم كلثوم أحياناً وعبد الوهاب مسارقة وخفية ونشرب شيشة الجراك فى السراديب ، لئلا تتفشى الرائحة فتهاجمنا اخوة الأمر بالمعروف فنكون لا سمح الله معرضين لأسوأ الاحتمالات

بينما نحن ننتظر الفرج وتسهيل أمورنا ، وقد زاد الصبر وكدت أيأس وضقت ذرعاً بالانتظار ويعلم الله ما أنا فيه من وجل واضطراب على الرغم من كونى محل اكرام الجميع وحفاوة الأمير والبطانة وسائر الموظفين ، وما زلت أعلل النفس بالآمال أرقبها وأكرر : فصبر جميل وأتمثل منشداً قول الاعرابي فى محنته مع الحجاج بن يوسف الثقفى :

ربما تكره النفوس من الأمر   له فرجة كحل العقال

صبِّر النفس عند كل ملم   ان فى الصبر حيلة المحتال

وبينما أنا كذلك وفى شدة من الأمر اذ جاء البشير يبشرنى بوصول جواب البرقية بعد مضى خمسة عشر يوماً فقابلت سمو الأمير وكان متهللا اذ فاجأنى حين المقابلة والبرقية فى يده اليمنى ويقول : أبشر فقد تسافر ان شاء الله وقد أمر الملك بعدما نشد عنك ووجدك سليم الغاية برىء الساحة ، أمر بدخولك الى أى بلد شئت فى السعودية من دون مضايقة وسيعطى لك جواز سفر من أى بلد تريد ، ثم كلمنى مدير الشرطة أمام الأمير والبطانة ومدير المالية وقال لى : أحمد الاله فانك كنت سجيناً ولم نشعرك ولذلك طلبت من سمو الأمير أن تكون ضيفى طيلة مدة السجن وهى المدة التى ما بين ابراق البرقية ووصول جوابها والذى نجاك من السجن ، الصدفة الطيبة وهى العيد الأكبر وصحبة أمير ذات الحاج ووساطته لدى أمير تبوك وكلمتك التى ألقيتها صبيحة عيد النحر .

ثم كانت المفاجأة السارة الكبرى ، وصول ابن غريض من الموسم وزيارته للأمير وتكريم الأمير له لأنه من الشخصيات البارزة فى تلك الجهة ، فكانت ليلة الأفراح والسرور وكانت من أقصر الليالى لأنها تحمل بين زواياها الفرج ودخول الوطن وسياحة أماكن مدائن صالح ووجود ابن غريض الذى وعدنى بالسفر سوياً مع رفقة من التجار الى مدائن صالح فتمثلت بقول عمر بن أبى ربيعة :

فيالك من ليل تقاصر طوله

وما كان ليلى قبل ذلك يقصر

فشتان بين هذه الليلة الكريمة وبين تلك الليالى الكئيبة ، ولو أنها مليئة بالخير وعدم المضايقة لكنها فى الوقت نفسه طويلة وطويلة بالنسبة لما تخفيه من مجاهل لا أعلم حقيقتها اذ كل ليلة تمر بى وما كأنها الا من ليالى مجنون ليلى أو جميل بثينة أو كثير عزة أو ليالى امرىء القيس .

مع ابن غريض

ذهبت صبيحة البشارة الى دار ابن غريض مع مدير الشرطة وسلمنا عليه ثم قلت له : ماذا تم فى أمر السياحة المدائنية التى وعدتنى بها فى فندق عمان بالأردن أظنك عدلت عنها كما يخيل الى ؟ فقال : بالعكس ، أنا مصمم وما كنت الا بالأطراف حيث بعت ما عندى من ماشية صالحة للموسم والآن مصمم على

السفر بعد غد ان شاء الله أنا ورفاقى التجار فاستعد لذلك ان كنت عازماً ، قلنا له : كيف السفر ولا مواصلات ولا طرق معبدة ولا توجد سيارات تعبر هذا الطريق ؟ فقال : السفر على الابل من هنا الى المدينة المنورة وسيكون طويلا وشاقاً بالنسبة لك وأما بالنسبة لنا فنحن أبناء الصحراء والجبال . والمهم ، أن تذهب الى سمو الأمير تستأذن منه وتطلب السفر الى المدينة وما عليك من الزاد والراحلة كل الأمور سهلة .

خرجنا من بيت ابن غريض وتوجهنا فى الحال الى الأمير ابن سلطان وعرضنا عليه ما قاله ابن غريض ، كما طلبنا الاذن منه والسماح بالسفر ، قال الأمير ، الله يوجه لك ، وزاد الطريق وراحلتك عندنا .. علم ابن غريض بذلك .

رجعنا الى ابن غريض وأخبرناه بمقالة الأمير فقال : هذا ما كنت أتوقعه .

دعينا للغداء عند الأمير ، وللعشاء عند ابن غريض حيث أدب للأمير مأدبة فخمة حضرها جمع من الاخوان والموظفين وكانت ليلة جميلة ليلة الوداع ، وفى الصباح أعددت نفسى للسفر ، وحزمت حقائبى ، وذهبت الى رحبة المسافرين وهى المحطة التى يسافر منها السياح وتقع الى الشمال من دار الامارة وذهب معى الشيخ أحمد فراش وسائر الموظفين وجدناهم فى الرحبة وابن غريض وصحبه وسمو الأمير ابن سلطان ، والكل جاءوا لوداعى ووداع ابن غريض وصحبه .

كان أحد مستشارى الأمير واقفاً على ناحية من نواحى الرحبة وأمامه (بكرة) محملة بالحقائب ذات الهداب الذى كأنه الدمقس المفتل كما كان عليها قربة ماء معلقة على أحد جوانب (القتب) وياعجباً من كورها المتحمل ، ثم أسر الي ابن غريض ببعض القول فنادانى بعد الحديث وقال : هذه راحلتك الى المدينة ان شاء الله توصلك وترجع معنا وهى من عند سمو الأمير وما عليها من زاد وهدايا هو لك فما كان منى الا معانقة الأمير وتقبيل ما بين عينيه وتقديم آيات الشكر له ولآل سعود .

رحلنا من تبوك يوم الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام عام ١٣٥٧ وكانت القافلة مكونة من عشرة رجال أنا عاشرهم ، وكلهم على الابل وأميرهم الشيخ عبد الله بن غريض، وسافرنا على بركة الله ممتطين ظهور الابل وكان سيرنا ما بين الخبب والاعناق ، حتى قضينا معظم النهار ، ثم نزلنا عند حلول الأصيل بأحد الأودية حيث تيممنا وصلينا الجمع ثم أكلنا قليلا مما لدينا من محفوظات ومعلبات وقهوة من الزمزميات ، وماء قليل شربنا ، ثم أوكينا المزادات وامتطينا ظهور الرواحل حيث أرقلنا فى السير حتى داهمنا الليل وقد توسطنا أودية الظلام ومسالك الجبال فألقينا الرحال ، ونزل الركب حيث أراحوا المطايا ، وجمعوا كلأ وحطباً فأعلفوا الدواب وأوقدوا الحطب وعجنوا العجين بما عندهم من ماء وعملوا الملة وأغلوا بعض الماء لعمل القهوة والشاي ، ثم امتلوا العجين حتى اذا ما امتل أخرجوا ما عندهم من جبن وتمر وتامك وأطعمونا الموجود ولم يفسحوا لى المجال لأخرج ما فى الحقائب مما زودنيه الأمير ، ثم قال لى أمير القافلة ابن غريض : تفضل كل من هذا الجبن والتامك

والتمر . فقلت : لا أستسيغ التامك فقال كلاهمـا وتمـراً(١) ولا تفكر في حل حقائبك حتى نصل المدينة ان شاء الله ، أو لا سمح الله نكون قد استنفدنا زادنا جميعه ثم نرجوك العفو هذه الليلة اذ لم نتمكن من صيد شيء من صيد البر لضيق الوقت كما أننا ما مررنا بأخبية اخواننا من البدو الرحل ، انما من بعد يومين أو ثلاثة نحل قريبـاً من بيوت الشعر التي يقطنونها في الخـلاء ويحملونها في الظعن والارتحال وكان الأمر كذلك ، اذ بمجرد سفرنا من المرحلة الثالثة بدأت تلوح لنا عضى المخيمات وبعـر الآرام والأنعام كما مررنا ببعض الغدران والأحواض التي كنا نروي رواءنا ونتطهر أحياناً منها ونطبخ طبيخنا . وكان سيرنا من طريق الابل وأحياناً بمحطات السكة الحديدية التي اقتلعت قضبانها وتكسرت عرباتهـا ، ابان الحرب العظمى الأولى لـكن لا زالت مباني المحطات قائمة لم يصبها ما أصاب الخط الحديدي من عفاء وطمس . وهذه المباني نمر عليها نهاراً ، ولم نمكث بها مطلقاً وكنا نتمنى أن نمر بها ليلا لنتقى بها كلب الشتاء أو

---

(١) التـامك هو السـنام ويقصد ابن غريض بذلك ضرب المثل وكنت لا أعرف مقصـده حتى اذا ما تبسـم عرفت قصده ، وفيما بعد علمت أنه يحفظ معظم الأمثال العربية كما يحفظ قصيدة بانت سعاد بكاملها ويحفظ الشيء الكثير من الشعر الجاهلي .

وأصل المثل العربي (كلاهما وتمرا) وفي بعض الروايات ، (كليهما وتمرا) فمن رفع كلاهما أي لك كلاهما ، وتمرا منصوب على أنه مفعـول لفعل محذوف أي وأزيدك تمرا ، ومن روى كليهما فانما نصبه على معنى : أطعمك كليهما وأزيدك تمرا ويضرب هذا المثل فيمن يطلب شيئاً فتعطيـه اياه مع زيادة على ما طلب بدليـل ان السـائل طلب زبداً وسناماً فقال له المسئول وتمراً ، أي وأزيدك على ما طلبت تمراً .

نبتعد من عواء الذئاب والضباع التى أقضت مضاجعنا فى معظم الليالى لأن مبيتنا كان بالعراء .

الصـــــــيد

رجال القافلة معظمهم من الرماة والقناص ومعهم بنـادق الصيد علاوة على السلاح الذى يحملونه ، وما من يوم يمر الا ونصطاد ما يمر بنـا من أرانب أو حبـاريات وأحياناً سمانى وأسراب القطا ولا يصيدون الا بمقدار الحاجة واذا وثقوا أنهم سيمرون بخباء مما يعرفون ، لم تحدثهم نفسهم بوضع أصابعهم على الزناد وهذا مما زادنى فيهم اعجاباً ، وكانت أرانب الشمال عبارة عن سخال من صغار البهم اذ يزن الأرنب الواحد أحياناً سبعة أرطال أو حوالى الثمانية وأما يمام الحجلة فكثير والقمارى والوراشـين التى تسجع على أغصان الثمام والأثل وبعض الأيك والسرح فعلى طول الطريق .

سـألت ابن غريض : لمـاذا لا نسرى ليلا ونستريح نهـاراً ونجعل القيلولة كلهـا للنوم بدلا من نوم الليـل الذى يعرضنا للصرد والذئاب والنوم بالعراء ، وفى النهار أحياناً نجد مبـانى المحطات الخاصة بالسكة الحديدية نظيفة ولا نحتاج الى كبير عناء ؟ فقال الرجل ، بكل صراحة : لا تسأل عما ليس لك به علم ونحن أدرى بالطريق ، ولا خوف علينا من الذئاب ما دام معنا سلاحنا، أما لو سرينا بالليل فى هذا الشتاء القـارس لمتنا من شدة القر ولنفقت الدواب أما تعريسنا بالليل ومبيتنا بالصحراء فهو أسلم اذ نوقد النيران حولنا ونكون نحن رواحلنا فى دفء وأما النهار

فبطبيعته يساعدنا على المسير ويمكننا من رؤية المياه والآبار ومعالم الطريق .

على ظهر الكثيب

وذات ليلة نزلنا على حيّ من أحياء بني عطية القاطنين فى البيوت المحفوفة والمظللة بالكلل والقرام والمعمدة بالعصي وكان صاحب الخيمة من أصدقاء رئيس قافلتنا فذبح له وأعلن القرى وعجله فحضر لفيف من الأعراب المقيمين فى تلك الأنحاء والأودية . وبينما نحن فى تناول العشاء اللذيذ اذ أقبلت بنت المضيف ومعها قطيع من الأغنام وكأنها كانت تنفشها لأنها جاءت بها فى وقت متأخر من الليل فسألها ابن غريض بعد ما سلمت وحيت الضيوف سألها عن سبب تأخرها فقالت : ما كان فى النهار من رعي(١) لأن الثلوج كانت ساترة على الأعشاب فجعلتها تثمم(٢) وتغرر حتى دفعت بعض الجليد عن بعض الأعشاب الصالحة للرعى وقد دهمنى الليل فلهذا نفشت الغنم . وكانت فصيحة جميلة جريئة مبرقعة الوجه ببرقع بدوي الا أن البدر الحقيقي هو برقعه وأهم ما فى المسألة هو اصطحاب كلب السلق

---

(١) يعنى ، ما هناك أعشاب ترعاها الابل والرعي هو العلق بفتح العين.
(٢) تثمم أي ترعى الثمام وهو نوع من الأعشاب التى ترعاها الابل .
تغرر : أي ترعى الغرار وهو نوع من الأعشاب ترعاه الابل أيضاً .
النفش : هو الرعي ليلا ومنه الآية الكريمة (نفشت فيه غنم القوم) .
الكثيب : الأرض المجتمعة المرتفعة على ما يشابه الهضبة قال امرؤ القيس:
ويوماً على ظهر الكثيب تعذرت علي وآلت حلفة لم تحلل

للغنم والحسـناء اذ هجم علينـا فى دار الضـيافة وصار يبصبص ويتمسح بالضـيوف فنفرت وهرعت الى كثيب كان أمام الخبـاء فلحقنى يشمنى ويبصبص وكأنه يعرفنى فصحت مستغيثاً لأنى عدو الكلاب وهي عدوة لى فلحقنى المضيف وطرد الكلب فأخبرته بخـوفى من الـكلاب حتى ولو كانت ذكيـة ثم جاء ابن غـريض وأقنعنى بنظافـة (السلق) وعـدم تلوثه وأنه أنيس ومهذب ويأكل مع القوم من النصعة التى يأكلون منها كمـا يشرب من أقداح اللبن معهم ، وينام بجانبهم وقـد اعتاده البدو وألفوه كأنه أحـد أبنائهم فقلت : معـذرة ، كلوا معه واشربوا هنيئـاً ودعونى على ظهر هذا الـكثيب أقضى ليلتى لأنى أنكر الكلاب وأخافها وأنفر منها حتى لو حكم بطهارتها ونظافتها ، فجعـل ابن غريض يهدىء من روعى ويربت على كتفى ثم قال لأهـل الخباء : سلسلوا الكلبحتى تنقضى الليلة فقالوا : لا أثر للسلسلة عندنا ولو وجدت وسلسلناه لمات غيظاً وكمداً .

فقلت لابن غريض : أنا أرجوك أن تبقينىهنا علىهذا الكثيب حتى يطلع الفجر ، انى قـد تعشيت وصليت وتقهـويت وسـوف ألتحف العباءة وما هي الا سـاعة ويطلع النهار وتنتهى المجاملة ونرحل وصممت على ذلك على الرغم من جميع المحاولات فأقرنى القوم على ذلك ، وما الكثيب عن الخباء ببعيد ثم نفذت خطتى حتى أيقظنى بعض الرفاق وقد لاح الفجر وغابت الحسناء مع كلبها وأغنامها فحمدت الهى اذ أبعد الكلب عنى فصلينا الصبح وتناولنا طعام الافطار وكان عريكة مبسوسة بالسمن والتمر ثم تقهوينا وامتطينا مطايانا وسرينا .

ليلة فى المطر

وذات ليلة أصابنا مطر شديد فبلل رحالنا وأبرد أجسامنا فتلحفنا بما معنا من الجعد الشعر والعباءة الثقيلة وسلمنا الأمر لله الواحد القهار اذ كلما نقول يارب كفاية ورحمة ، تجود السماء بماء منهمر حتى سالت الأودية ومشى الماء فى الأرض وغاصت أخفاف الابل واستعلى الماء على مناسمها وما بقيت صاعقة الا وشنفت أسماعنا بارزامها ولا ودق الرواعد جودها أو رهامها الا وصابنا انهمارها وريح الشمال تزجى علينا جامد البرد ، وكادت أرواحنا تزهق وكرب القلب من شدة الصواعق يذوب ويكاد البرق يخطف أبصارنا وكلما أضاء للمطايا سرت قليلا ثم توقفت ، وكاد ضوء البرق يعشى الناظرين ، ويكاد الليل ينتهى ونحن نبتهل الى الله أن يأمر السماء بالاقلاع والأرض بالابلاع ، وقطع الليل المظلمة بالتبدد والتفرق وقد استجاب الله الدعاء فأقلعت السماء وغيض الماء وأشرق نور الصباح ونحن على ظهور الابل طاوين من الجوع وقد فاتنا العشاء وارتعشنا من البرد وتبللنا من المطر ، فآوينا الى هضبة معشبة ونزلنا عن ظهور المطايا وتوضأنا وصلينا الصبح قضاء وخلعنا ثيابنا المبللة وجففناها وأنضينا كل الملبوسات التى علينا وبدلناها بما فى الحقائب الجلدية مما لم يمسسه بلل وماء ثم أخرج القوم دقيقهم وتمورهم وسمنهم وأوقدوا النيران وصنعوا العصيد فتناولنا طعام الافطار الدسم الذى أزاح مرارة الجوع واقتلع جذور القر من جسومنا ، ثم تناولنا المشهيات والمنبهات بعد ما أخذت الابل حظها من العشب ، فعاودنا سيرنا وقضينا نهارنا حتى أطفلت

الشمس وغاب شعاعها وبدأ النعاس يداعب الجفون لأننا حرمنا من المنام فى الليلة السابقة . فأنخنا على سفح الجبل وتراكض القوم لجمع الحطب فجمعوه ثم أوقدوه وأتوا بعد ذلك بعدس وأرز وطبخوه فى قدرين وصبوا عليه من السمن فتعشينا وتقهوينا وصلينا الجمع ، ثم نمنا ليلة هادئة وأصبحنا كعادتنا فى الغلس وانغمسنا في الوضوء والصلاة والافطار وما أشرقت الغزالة الا ونحن على قارعة وادى المعظم أول مرحلة لدخول مدائن صالح .

السيل الكبير

وبدأت الغيوم تمور فى الأفق والريح تزجي سحاباً ثقالا وبدأ النسيح يهب وكأنه من أفواه الثلاجات ، أو من جوف الزمهرير فقال القوم : نخاله سيلا مقبلا أو ماء سينهمر من السماء فتسيل الأودية والشعاب ولا بد من أخذ الحيطة بأن نأوى الى جبل يعصمنا من السيل الذى لا نشك أنه داهمنا بين لحظة وأخرى فأسرعنا فى المسير وقد كلت رواحلنا وبالأخص ناقتى الفتية ، فحثثتها حتى أسرعت حتى طارت بنا حيث آوينا قبل الهطلان فوصلنا جبل (براعم) وأنخنا بسفحه وكان الوقت أصيلا لكن السماء قد حلكت وما هى الا لحظة حتى داهمنا السيل العظيم جائياً من شعاب وسهول أودية المعظم الشمالية فتسلقنا نيقاً من أنيق الجبل وطردنا الابل معنا فأرقلت وتسلقت وصرنا لا نرى الا رءوس الجبال وقد تزملنا وتدثرنا بعباآتنا وجعادنا حتى خفت حدة السيل وقد دخل الليل ولا حطب لدينا ولا عشب فتوضأنا من ماء السيل وصلينا المغرب والعشاء وتعشينا من

التمر والحمص والجوز والفواكه المجففة ، وأغمضنا العيون وتلحفنا بما عندنا وحمدنا الله على السراء والضراء .

صاحب الفرزدق

وبينما نحن فى أول النوم اذ بعواء يدوى صداه بين شعاب الجبال فانتبهت مذعوراً بين الخوف والرجاء ، فمرة يغلب على ظنى أنه عواء ذئب فأزداد ذعراً ووجلا وتارة يغلب على ظنى أنه عواء كلب فأرجو البشارة وأقول فى نفسى لعل رعاة أغنام بجوار الجبل الذى نحن بسفحه أو أعراباً متنقلين وهذه كلابهم تعوى فمرة يغلب الشك على اليقين ، وتارة يغلب اليقين على الشك وبينما أنا فى تفكير عميق اذ بالعواء يزداد ويقترب ولم أدر الا وأحد الرفاق نهض قائماً فقلت : ما دهاك ؟ وما الذى حملك على الفزع وانى لأكتم ما بى من خوف وأتجلد وأكرر قولى فقال الرفيق : هذا السرحان (الذئب) وصل الينا وهو جائع يطلب زاداً وليس عندنا من لحم أو قوت له أو نار تفزعه فيهرب ولعله ان ازداد به الجوع يهجم على أحدنا فيفترسه .

ومن عادة الذئب اذا عوى كثيراً تهوى وتهرع اليه الذئاب فيهاجمون الفريسة جمعاً وهذا الشعب الذى نحن فيه مسبعة ثم أفضى الى بندقيته وحشاها رصاصاً ووضع يده على الزناد واستلقى مطمئناً وقال : هذه ليلة نتعاقب فيها النوم ولا أمان للسراحين الجائعة وكان يقص علي قصص الذئاب ويصف شراستها وغدرها وكنت بدأت أنهار تدريجياً ثم تحاملت على نفسى وتجلدت وقلت له بصوت خافت : ولم أنختم فى هذا الوادى المخيف وعرضتمونا

لهذه الأخطار ؟ فقال : الضرورة أحوجتنا وقد رأيت بعينك ما كان من أمر الغيث والسيل ولو سرينا لفاجأنا سيل أعظم مما رأيت وقد دهمنا الليل ولا حيلة لنا الا حط الرحال بهذا المكان حتى ينبلج الاصباح ، يقول هذا وقد بدأ الكرى يغلب على صاحبي فجعل يهذى هذياناً حتى غمضت عيناه دفعة واحدة فوكزته بيدى من شدة الهلع وقلت له : أين التعاقب والتناوب ؟ وزجوته أن يطلق رصاصة فى الفضاء ليخيف الذئب الجائع فقال : ان أطلقت رصاصة زاد العواء وقد نهاجم ولو أن عندنا بعض الاضاءة تمكننا من الابصار لقتلت الذئب ولكن الظلام الحالك يحول بيننا وبين صيده ومالنا الا الصبر والتسليم حتى يلوح النور أو يبعده الله عنا ثم أغمض عينيه وأسلم قياده لسلطان الكرا وغط فى النوم فانكببت على وجهي وألقيت على ظهرى العباءة الثقيلة ووضعت الحقائب على ظهرى ومؤخرى وعلى رقبتى ، وأيقنت أنى هالك لا محالة ولو كنت أعلم الرماية لأخذت احدى البنادق أو على الأقل بندقية الرجل الذى ملأنى رعباً وشحن سلاحه بالرصاص ووضع يده على الزناد ثم نام يشخر شخيراً وتركني لسيد الغضا.

أي والله لقد التقيت بالموت المحقق فى تلك الليلة الليلاء ، تلك الليلة التى لم يغمض لى فيها جفن ولم يسكن لى فيها جنب وصرت أستعرض قصص الرجال الذين افترستهم السباع والذئاب وفيما لو صح هجوم الذئب علي من بين القوم . ولقيت حتفى ياترى ماذا يقول رفاقى لأهلى أأكله الذئب ويأتونهم بثيابى المطلية بأرجوان أو بدم قانىء خاضب ؟ وهكذا دواليك بين الحق والباطل أو بين الحقيقة والمجاز حتى جاز الليل وما صدقت أن أمكث حياً حتى ينتهى ، لكن الله سلم ، فقد انكشف الظلام وبدأ

القوم يثورون واحداً تلو الآخر فقمنا للصلاة وأخذنا فى أسباب الرحيل وما ان أشرقت الشمس حتى تسنمنا رواحلنا وحمدنا الهنا على السلامة ، وهذه الليلة الثانية من الرحلة الشاقة التى لم أذق فيها نوماً حتى ولا غراراً أو مضمضة وأنى لى به وأنا بين براثن الذئب وكلب الشتاء والطل .

سقنا المطايا حتى صار سيرها ارقالا وأقبلت الظهيرة الجميلة وكان الجو صحواً فأدخل كل من الرفاق يده فى جيب حقائبه وأخرج ما يقضم أو يسف لسد العوز وبلل الزوز سلفة ولهفة تعليلا وتصبراً ، ففعلت كما فعلوا وكانت حقائبى مكتظة بالفستق والجوز المقشر والحلوى ، فاستقفت وقضمت حتى دنا العصر ، فنزلنا للتيمم والصلاة ثم عاودنا المسير وقد طرد القوم مطاياهم حتى أهطعت فطارت الركاب اهطاعاً خوفاً من دخول الظلام أو مفاجأة السيل قبل وصولنا محطة (خنزيرة) وللضرورات أحكام . فوصلنا لله الحمد المحطة مع غياب الشمس فنزلنا وألقينا رحالنا وانتشر القوم ، بعضهم توجه ليصيد ما نتعشى به وبعضهم لجمع الحطب والآخر للماء حيث توجد بئر عميقة بها ماء عذب غير آسن وما هى الا لحظة حتى جاءوا بالقرب ممتلئة ماء قراحاً زلالا وبأحمال من الحطب وكمية من القطا والأرانب وأنا وابن غريض ما علينا الا مناشدة الأشعار والتعرف على أسماء الجبال والأمكنة لأن الرفاق تكفلوا براحتنا اكراماً واجلالا . أما ابن غريض فلكونه كهلا ورئيساً للقافلة ، وأما أنا فلغربتى وتوصية الأمير علي فلذلك كنت محل الاكرام والتبجيل من القوم ، ولم أكلف قيد شعرة بل ربما أقوم لمناولة بعض الأغراض فأمنع ، وهكذا كان مسيرنا ورحيلنا من محطة الى

محطة ومن واد الى واد ومن حـرة الى حـرة حتى كانت المرحلة العاشرة وبدأت تلوح لنا معالم (المدائن) مدائن صالح الكبرى، وبدأنا نسجل أسماء الأمكنة والسهول وبدأنا نلج الكهوف حتى أتممنا الرحلة الخامسـة عشرة حيث ولجنـا (الحجر) وقطعناه عرضاً حتى دخلنا (العلا) .

(العـــــلا)

قال أمير القـافلة : ندخل العـلا نسـلم على أميرها ونلقى حقائبنا بدار الضيافة ثم نبدل ثيابنا ونأخذ الأهبة لجوب الحجر والكهوف، وفعلا دخلنا البلد وسلمنا على الأمير وهو (ابن هذيان) بضم الهاء أو كسرها وفتح الذال وفتح الياء المشددة بعدها ألف ونون ، وهـو أمير العـلا وقتـذاك من قبل الملك عبد العـزيز رحمه الله ، سلمنا على الأمير وأخذنا الراحة الكافية وقد أدب لنـا سـموه مأدبة كريمة ثم زودنا بكل ما نحتـاجه من أدوية ضرورية من اسبرين وقطن ونشادر ومعلبات وقهوة وحلوى . ثم بدأنا رحلتنا فى الحجر التى استغرقت شهراً كاملا حيث نقضى ليلنا بالعلا ، ويومنا بالحجر حتى أتينـا على ثلاثين جبـلا من أشـهر جبالها وولجنا كهوفاً كثيرة على نحو ما ذكرته فى أول الكتيب فى باب المقارنة والتطبيق ، فارجع البصر اليـه ثانية وثالثة حتى ترتسم فى مخيلتك أرض هذه البلاد العجيبة التى جعلها الله عبرة لنا وموعظة .

كان القاضى بمدينة العلا وقتذاك : الشيخ ضياء الدين رجب رحمه الله ، ومدير اللاسلكي والبريد رجلا من آل جمل الليل ومدير المدرسة الشيخ الماردينى أو الأستاذ البيومى والأسـتاذ المساعد

(شحات) من أهل المدينة المنورة وعدد التلامذة بالمدرسة السعودية ١١٦ تلميذاً .

ومدينة العلا تنقسم الى حارتين عظيمتين (الحلف) بكسر الحاء وسكون اللام بعدها فاء ، ثم حارة (الشقيق) بكسر الشين المشددة وفتح القاف وكسر الياء المشددة بعدها قاف وفى هاتين الحارتين يسكن أهل البلد جميعهم ودكاكينهم فى عرصات دورهم أو داخل الدهليز ولهم أوقات معينة يفتحون فيها أبواب بيوتهم للبيع والشراء فى الصباح وفى المساء ، فاذا جئت لشراء حاجة فى غير الأوقات المعينة تجد باب البيت مغلقاً وما عليك الا أن تقرع الباب قرعاً شديداً حتى يجيبك التاجر من نافذة البيت ان كانت له نافذة على باب البيت والا أجابك من الداخل بقوله (من هو ؟) بفتح الميم ، هذه الجملة لا تتغير ولا تتطور يستعملها التاجر الكبير والتويجر الصغير ، فاذا كنت زائراً قلت (زائر) واذا كنت تريد شراء حاجة تقول (شارى) بمعنى مشترى فى لغتهم ، وله الخيار ان شاء نزل وفتح الباب وان شاء امتنع ، الا اذا كانت الكمية كبيرة فتعلمه بها من تحت النافذة التى تطل على باب الدار اذا أجابك البائع من تلك النافذة .

والدكان هو قسم من الدهليز يجعل فيه الرفوف ويفصله عن ممر السلم حاجز خشبي قوي كما تجد التاجر جامعاً لكل الأصناف التجارية ، اذ تجد تاجراً واحداً يبيعك البز (القماش) والسكر والقهوة والزبد والتمر والجبن والخيوط والحرير والعطر الخ ما تريد من أنواع ما عدا اللحم والفاكهة والخضروات .

ومعظم تجار البلدة من أهل نجد وتيماء واللغة الدارجة فى العلا هى النجدية ويوجد القليل من المدائنيين ، وبها عيون

كثيرة وآبار صالحة وآبار معطلة لا حاجة اليها لكثرة ما بها من ماء ، وأرضها خصبة جيدة التربة وأكثر ما يغرس فيها النخيل والأترج والليمون بأنواعه والفواكه والخضروات وأكثر صادراتها التمور وهو أنواع أجودها البرني والسكري ، وأما الليمون السكري فحجمه يوازى حجم البطيخة الصغيرة وهذا ما تمتاز به العلا على سائر البلاد الزراعية .

ويكثر بها الذباب والبعوض مع كثرة المياه والزروع ، وذباب العلا يضايق السياح والعابرين فى الطرقات حتى انك لتحتاج منديلا يكون بيديك تطرد به الذباب حيثما كنت وأينما كنت ، واذا دعاك داع لتناول قهوة بداره أو طعام عشاء أو غداء ينصب لك (ناموسية) بحجم المجلس حتى لا تتضايق من الذباب أو البعوض .

واذا قال لك الداعي : (حياك الله على القهوة) فى ساعة كذا معناه أنك تستعد لتناول وجبة كاملة فقد دعينا مع بعض الرفاق وأخص منهم الشيخ ابن غريض الى القهوة وكانت حفلة مصغرة جميلة ، تجمع بين أنواع التمور والزبد والسمن واللبن الحازر وذى الدسم والأصفر المبهر وأطباق من الفاكهة ، واذا كانت الدعوة لغداء أو عشاء فلا تقل عن الخروف وما يتبعه على حسب شهرة الداعى ، وأما اذا دعاك شخص من سكان الحجاز وأعنى بذلك من كان من أهل مكة أو المدينة أو أى مدينة حجازية فيتبع تقاليد تلك البلاد .

وهناك حارة ثالثة بالعلا هى المحطة التى بها سكنى أمير البلاد وبطانته وبها محطة السكة الحديدية . هذه أنقى هواء من داخل البلد ويقل بها الذباب والبعوض ، وليس بها مبان

سوى مبانى الامارة ، مكثنا بالعلا شهراً كاملا ، ولا حظ لنهاره عندنا مطلقاً اذ بمجرد ما ينبلج نور النهار نمتطى دوابنا من حمير أو بغال ونأخذ زادنا وماءنا وقهوتنا وشاينا المعبأ فى الزمزميات ثم نتوكل على الله ، والمراد بالزاد ما كان أوساطاً أو محفوظاً بالمعلبات أو الخبز المقدد والجبن والتمر ، وأحياناً تصلنا طبخة جريش أو مرقوق اذا علمت الامارة موقع الجبل الذى نريد أن نلج كهوفه من أرض الحجر اذا كان دانياً كما نأخذ كمية من الأدوية الضرورية التى نحتاج اليها داخل المغارات مثل النشادر والاسبرو والسبيرتو الأبيض وبعض المراهم والفكس والقطن المعقم والليمون والحبال والزمارات التى يعلقها الكشافون فى نحورهم والسلاح اللازم لقتل الزواحف ، والحيوانات الكاسرة التى تأوى بداخل الكهوف أحياناً .

وكنا اذا وقفنا على باب الكهف يقف أحدنا على الباب ويمد يده الحاملة للمسدس أو البندقية ثم يطلق رصاصة أو رصاصتين ثم يرجع الى الوراء ثم يعاود الكرة حتى يغلب على ظننا أن ليس هناك خطر ، ثم يتقدم أشدنا قلباً فيلج المغارة حتى اذا ما تيقن نظافتها وخلوها من الأخطار ، صفر بزمارته مرة أو مرتين .

بعد ذلك نبدأ فى الولوج ونمكث بها باحثين منقبين مصورين حتى اذا ما انتهت مهمتنا ذهبنا الى غيره من الكهوف وهكذا حتى أتينا على معظم كهوف الجزء الجنوبى من الحجر ، وهذا الجزء أخذ منا وقتاً طويلا حيث انتهى الشهر ولم نقف الا على ثلاثين جبلا وعلى بعض الصخور المنقوشة المنحوتة كما مر ، أما القسم الشرقى والشمالى فمررنا بهما وأنخنا على عدة كهوف منها حين الدخول من الشام ولم نقف على الشىء الكثير من هذين القسمين ولو

قطعنا الحجر عرضاً لاحتجنا الى مسيرة أربعة أيام على الابل على الأقل .

ولا يتوهم السائح أن الحجر هو ما كان بحذاء محطة السكة الحديدية ، بل الحجر يبدأ من شارع السلطان المحاذى لجبل (عشبة)(١) بضم العين وسكون الشين وفتح الباء بعدها تاء مربوطة وهو جبل صغير عند مدخل الحجر ، تحيط به أعشاب مختلفة ، ثم انك اذا قطعت مرحلتين عرضاً من الحجر تصل الى قرية (الكاتبة) التى بها صخرة الناقة التى انفلقت وخرجت منها آية الله ، ثم تمشى بعدها ساعة على الأقدام حتى تصل الى ضاحية (الناجية) وهى التى بقربها كانت البئر التى يسمح الشارع بالشرب منها وما عداها من الآبار فممنوع .
أما مدائن صالح فتبدأ بعد مرحلتين من تبوك مباشرة وليس بها كهوف الا نادراً حينما ترى جبلا منفصلا جائماً فى أحد الأودية .

قضينا ٦٠ يوماً فى مدائن صالح و ٣٠ يوماً فى الحجر الذى هو عاصمة المدائن على نحو ما ذكرناه سابقاً ـ ما بين العلا والحجر ـ ومع ذلك ما أتينا الا على العشر من الكهوف والجبال المنحوتة والأمكنة الأثرية على الرغم من المساعدة التى حصلنا

---

(١) جبل عشبة لم نذكره في الجبال التى مرت بنا سابقاً في القسم الأول ولا في الثانى لأنه غير منحوت ولا منقوش وليس به أي منظر يستلزم الكتابة مع أنه في مدائن صالح وكذلك جبل (الأشعر) بديار ثمود ولم أذكره فيما ذكرت من جبال لعدم وجود كهوف فيه واكتفينا بالأهم .

عليهـا من امارة العـلا والتسهيلات التى ساعدتنا وشجعتنا على المضي فى البحث والتنقيب .

ولا تنس أننـا عصبة مسلحة مزودة بكل أدوات الرحلة ، وكلنا شـبان أقـوياء ليس فينا هرم ولا كهل سوى أمير القافلة الشـيخ ابن غريض الذى كان ينتظـرنا عند باب الـكهف أو سفح الجبـل الذى نريد أن نتسلقـه ، وأما رفاقه الذين كانوا معنا فى القافلة فهم من بنى عوف(١) وجهينة ورجل من الحويطات والبقية من بنى عطية وقد يكون رئيس القافلة منهم على ما أظن، وأما الجمعـة فنقضيها بالعـلا ولا نرحل فيها مطلقاً للاستجمام والراحة ، والليل نقضيه عند اخواننا الموظفين بالعلا الذى مر ذكرهم أو عند سـعادة الأمير لكننا لا نطيل السهر لأجل مهمتنا السياحية التى تبدأ مع الاسفار كل يوم .

(الرحلة الى المدينة)

وبعد أن انتهينا من رحـلة الحجر ومدائن صـالح استأذنا سعادة الأمير (ابن هذيان) أن يسمح لنا بالسفر الى المدينة المنورة فأذن مشكوراً بعد ما قـدم لنا كل التسهيلات وأكرمنا بما هو أهله واحتفى بنا أكثر مما كنا نظن .

وكانت رواحلنا قد تربعت مع ابل الامارة ولم ندر عنهـا شيئاً لأن الامارة أعطتنا رواحل صالحة لجـوب الحـزون والسهول

---

(١) بنو عوف هم بطن من ثقيف ـ من هوازن ـ من العدنانية ويقال لهم بنو عوف بن ثقيف .

من حمير وخيل وجعلت أنعامنا تنفش وترعى مع أنعامها طوال المدة الربيعية فلما أذن لنا بالسفر أصدر الأمير أمره باحضار زواملنـا فحضرت وجهزت أحسن جهـاز واستلمنا (المكافآت) وسافرنا مع القافلة الآنفة الذكر والتي يرأسها ابن غريض .

كان رحيلنا من العلا ضحى اليوم العـاشر من ربيع الأول لعام ١٣٥٨هـ ـ قطعنا اليوم كله سيراً عنقاً ونزلنا قرب العصر للتيمم وصلاة الجمع وعاودنا المسير حتى بدأ الظلام ، ثم نزلنـا لصـلاة المغرب والعشـاء جمعاً ثم عاودنا المسير حتى مضى الثلث الأول من الليل ثم نزلنا وأوقدنا للطبيخ والدفء ثم النوم حتى الصبح حيث نهضنا للصلاة وعاودنا المسير ، حتى أشرق الضحى ثم نزلنا للافطار والقهوة ثم عاودنا سيرنا الى المساء حيث نزلنا للافطار والقهوة ثم عاودنا سيرنا الى المساء حيث نزلنا على خباء من أخبية العرب ، صاحبه من أصدقاء ابن غريض فذبح لنـا وأعلن القرى وكانت ليلة ممتعة حقاً .

ثم عاودنا مسيرنا وقد صاد القوم ظبيين جعلناهما للعشاء ، وواصلنا السير حتى جاء وقت التعريس فنزلنا وعرسنا وشرع القوم فى سلخ الظباء ، وأوقدوا النار حولنا وأنزلوا القدور وظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف الشواء أو قدير الندى ، أو السليق كل على حسب مزاجه ، وقد كان الرفاق حائزين أوسمة الطهي ، وهكذا حتى بدأنا نرى أودية هدية الكبرى .

ويلاحظ أن هذا الاسم تكرر ـ فهناك هديتان ـ سـهول هـدية الأولى وهى التى على ثلاث مراحل من تبوك ، والهـدية الثانية هذه وهى ما بين العلا والمدينة المنورة ، وهكذا واصلنا سيرنا الى المدينة حيث استغرق الرحيل ستة عشر يوماً على الابل

ولم نجد الماء ، الا فى ثلاث محطات فقط ، والباقى حشارج وغدران ماؤها آسن .

(صدق الله)

(صدق الله وأخطأ معاوية) هذه الجملة الخالدة قالها معاوية رضي الله عنه ولا يسع كل سائح الا أن يقولها وأنا قد قلتها مراراً فى تجوالى بهذه المدائن لأنك لا ترى الا أشباحاً ورسوماً وكهوفاً وأرضاً سابخة وهضاباً ناتئة وحراراً مسودة وآباراً مطمورة وزروعاً محروقة ولو أردت أن تطبق بين الماضى والحاضر لسولت لك نفسك أنك حالم أو متخيل أو واهم كما حصل لمعاوية بن أبى سفيان لما حج فى زمن خلافته ومر على مدائن صالح وختم بوادى القرى (العلا) قال أين الزروع والنخيل وأين المياه والعيون وأين الجنات والفواكه والله سبحانه وتعالى يقول فى أهل هذه الديار (كم تركوا من جنات وعيون) ؟ فقال له رجل من أهل وادى القرى كان خبيراً بعلم طبقات الأرض أو علم الجيولوجيا : والله يا أمير المؤمنين كلها موجودة ولكن الله طمسها على القوم ولو شئت لاحتفرت لك أكثر من أربعين عيناً فقال لعامله هناك : دع الرجل يكدها ويحتفرها فنفذ أمره وما ان رجع معاوية من الحج حتى وجد ثمانية وأربعين عيناً قد احتفرت بالعلا وفى رواية ثمانين عيناً فقال معاوية رضي الله عنه : صدق الله وأخطأ معاوية . ونحن نقول الآن ما قاله معاوية ولو أردنا أن نبرز هذه الحقائق الى الوجود لجلبنا علماء طبقات الأرض وعلماء الآثار من جميع أنحاء العالم حتى تبرز الآثار للعيان

وكذلك تتفجر العيون وما ذلك على همة الرجال ببعيد .

خلاصـــة التحقيق

أ ـ الحدود الأولى التي ذكرها المفسرون والمؤرخون والنسابون والتي تبدأ من حدود الشام وفلسطين الى سواحل الحجاز وعـدن والحبشة هذه لا وجود لها ولا معالم ترشدنا اليها اللهم الا النزر القليل من بعد وادى المعظم الى الحجر الكبرى وكلها محصورة فى بعض الجبال المنحوتة والشعاب الصغيرة .

ب ـ المدن التي ذكرها المفسرون والمؤرخون والتي تربو على مائة ألف مدينة وكلها لقوم ثمود ، وتبدأ من حدود الشام الى سواحل الحبشة ، هذه أيضاً لا وجود لها .

جـ ـ الزروع والنخيل والحدائق والعيون والآبار والأرض الخصبة ، أيضاً لا وجود لها الا ما ظهر لك من بعض النخيـل المحروق فى المناظر التي مرت بك ، ولا يسعنا فى هذا الشأن أن ننفى ما أثبته القرآن والحديث والتاريخ من أنه كان لقوم ثمود جنات وزروع وعيون ، لا يسعنا الا ما وسع معاوية حينما قال : صدق الله وأخطأ معاوية . وخاصـة بعد ما احتفـر له الرجـل الجيولوجى ثمانية وأربعين عيناً بوادى القرى (العلا) .

د ـ آثارهم التي كانت موجـودة فى أيام دولتهـم وهـذه تتلخص فيما هو منقوش على بعض جبالهم المنحوتة التي مرّ ذكرها ومعظمها بالخط الثمودى ، وهناك بعض خطوط مطموسة ربمـا يرجع عهدها الى ما قبـل دولتهم وبعضها نبطيـة ، أما آثارهم البنيانية ومتاحفهم فقد ابتلعتها الأرض حين نزل بهم العـذاب

وتزلزلت أرضهم وما عليها ، وهذه قد يظهر بعضها اذا ابتدأ الحفر والتنقيب .

هـ ـ أسماء مدنهم وسهولهم وجبالهم وأمكنتهم . وهذه أيضاً غير ثابتة الا بالقرائن والتطبيق فى بعضها ، والأخذ من أفواه البدو الرحل والمجاورين لمناطقهم وحدودهم . كذلك القرى التى ذكرها المؤرخون لا وجود لها مطلقاً اذ لا ترى غير الحجر وما به من قرى مدمورة أو زروع محروقة الخ كما مر .

و ـ أما بقيتهم فقد وضحت لك ما فيه الكفاية وكذلك قبائلهم المنقرضة قد مرت بك أيضاً ، وأكبرها قبيلة (بنى غنم) وتبين لك فروعها وأصولها فيما مر من قبائل ثمود ، والذى بقى من عقبهم (قبائل ثقيف) وجدهم أبو رغال وكان مقيماً بالحرم ، هو وذريته وقد أهلكه الله حين نزول العذاب وبقيت ذريته مقيمة بجبال الطائف وما حولها من القرى ، وأبو رغال من الكفار الذين كفروا بصالح وأهلكه الله كما أهلك قومه ، وبقيت ذريته بالطائف وأما من تبقى من عقب المؤمنين من قوم صالح عليه السلام فكثير ، وقد مر بك أن عدد المؤمنين كان يزيد عن أربعة آلاف مؤمن وقد رحلوا جميعاً معه بعد هلاك قومهم ونقلوا معهم ما قدروا أن يحملوه من متاع وأثاث وقد مر بك أن صالحاً عليه السلام طاف بالبلاد العربية مع قومه المؤمنين ، فأول ما مر برملة فلسطين واستأذنه نفر من قومه بالبقاء فأذن لهم ثم مر بأرض عدن قبل أن يدخل حضرموت فاستأذن نفر من قومه بالبقاء بها فأذن لهم فمكثوا هناك حتى كثروا وصار من نسلهم فيما بعد أصحاب البئر المعطلة التى ذكرها الله فى القرآن الكريم ، وفرقة من المؤمنين استأذنت بالسفر الى الرس فأذن لها كما قاله

ابن جبير ، وغيره من المؤرخين والنسابين ، فأصحاب الرس ، أصلهم من قوم صالح من المؤمنين منهم ، واستأذنوا نبى الله صالحاً عليه السلام فى الرحيل الى بلد يستعيشون فيه فأذن لهم ، فنزلوا فلج اليمامة .

والرس رسان ، رس (فلج اليمامة) وساكنوه من قوم صالح من الفرقة النازحة عن البلاد بعد هلاك قومهم بالحجر .

والرس الثانى (رس حضرموت) وهذا ذكره ابن عباس رضى الله عنهما ، وساكنوه أيضاً من قوم صالح من المؤمنين النازحين عن الحجر بعد الصيحة وهلاك الكفار من قومهم .

أما الرساس الأخر فلا علاقة لها بقوم صالح ولهذا لم نذكرها واكتفينا برساس المؤمنين من قوم صالح .

وبعض من المؤمنين المستضعفين ، النازحين عن ديارهم بعد العذاب نزلوا بالبحرين واستوطنوها ومن عقبهم (بنو عبد القيس) .

لكن السواد الأعظم من قومه المؤمنين رحل معه الى حضرموت ولما استقر به النوى توفاه الله ودفن فيها ولذلك سميت (حضرموت) ، ومكث المؤمنون من قوم صالح بحضرموت الى ما شاء الله وبنوا فيها مدينة كبيرة أسموها (حاضوراء) .

أما الفرقة التى نزلت البحرين من قوم صالح واستوطنت أرخبيله فهم من المؤمنين أيضاً ومن عقبهم (قبائل عبد القيس) ، وهذه الفرقة لها آثار وحفريات بالبحرين منها بعض العيون والآبار كما أنها سمت بعض جزر الأرخبيل باسم (نبى الله صالح) ●

تذييـــل هام
آخر الاكتشافات في المنطقة
سنة ١٣٩٩ هـ

تم العثور في سنة ١٣٩٩ هـ على حجـرين هامين في منطقـة تيماء .

الأول : حجر طوله حوالى ٩٠ سم عليه بعض الكتابات الآرامية وفي الوجـه الآخـر بعض الرسـوم والطقـوس الدينيـة تنتمى للأشوريين في العراق والشام ومصر والجزيرة العربية ويرجع تاريخ الأثر الى ٢٦٠٠ سنة . وعلى نفس الحجر وبعد ٥٠٠ سنة أي في القرن الأول قبل الميلاد كتابات بالخط اللحياني .

الثاني : قاعدة حجرية مستطيلة الشكل ارتفاعها حوالى ٦٠سم تحمل واجهتين من واجهاتها الأربع رسوماً نحتية غاية في الابداع. وتتضمن الواجهتان المرسومان شـكلا متقناً لأحـد المواشى وأمام الماشية رجل يقدم قرباناً ــ وتعلو هذه الواجهة نفس الطقوس الدينية التى وجدت على الحجر الأول ــ وهذا يدل على اتصـال الأثرين بعضهما ببعض .

أما الوجه الآخر للحجر الثاني فيحتوى على رسـوم مختلفـة لحيوانات وأشكال معروفة في اطار المعابد الدينية .

تم اكتشاف الأثرين بتيماء ــ كمـا صرح الدكتور عبد الله حسـن مصرى مدير ادارة الآثار والمتـاحف الشـعبية لجـريدة الرياض . ونقل الحجران الى الرياض لتحليلهما وقراءة الكتابة الآرامية التى عليها .

راجع جريدة الرياض عدد ٤٢٢٦ وتاريخ ١٣٩٩/٦/٤هـ .



واجهة ضريح غير مكتمل في « جبل خريمات »



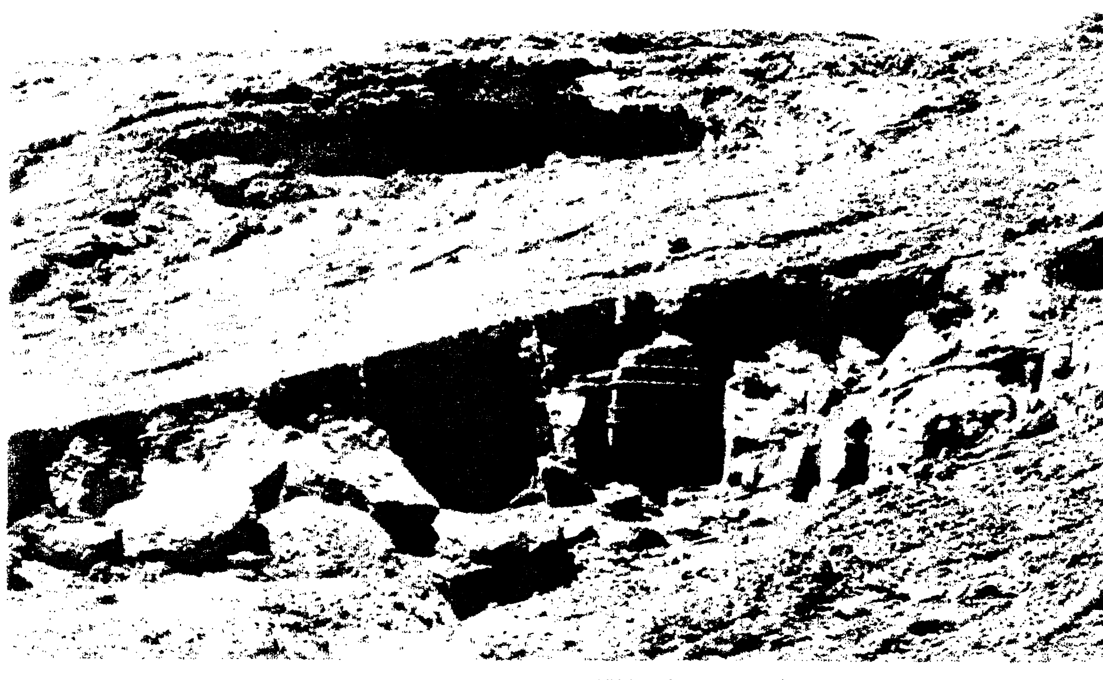
واجهات أضرحة نحتت على الناحية الغربية من جبل قصر البنت



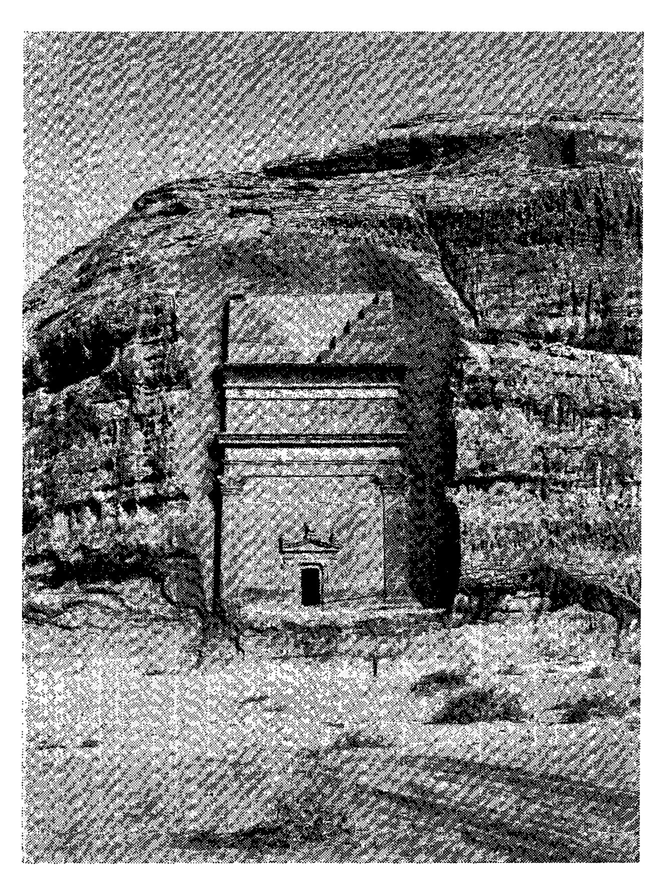
القصر الفريد « أبو لوحة »



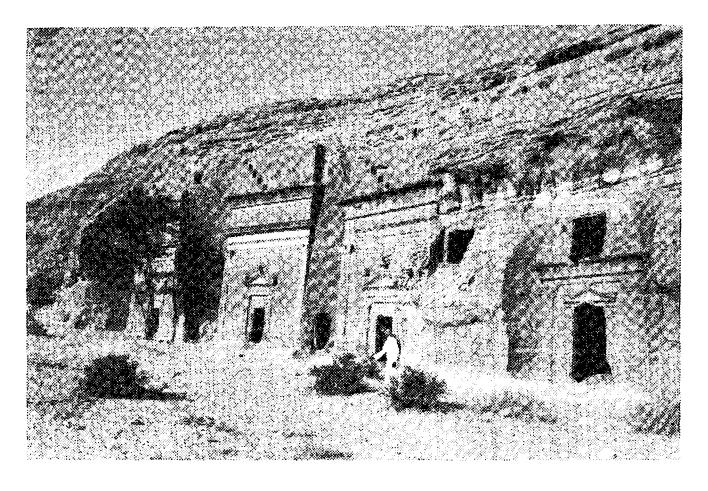
واجهة ضريح في الجهة الغربية من قصر البنت حيث تبدو زخرفة القوس فوق المدخل ..



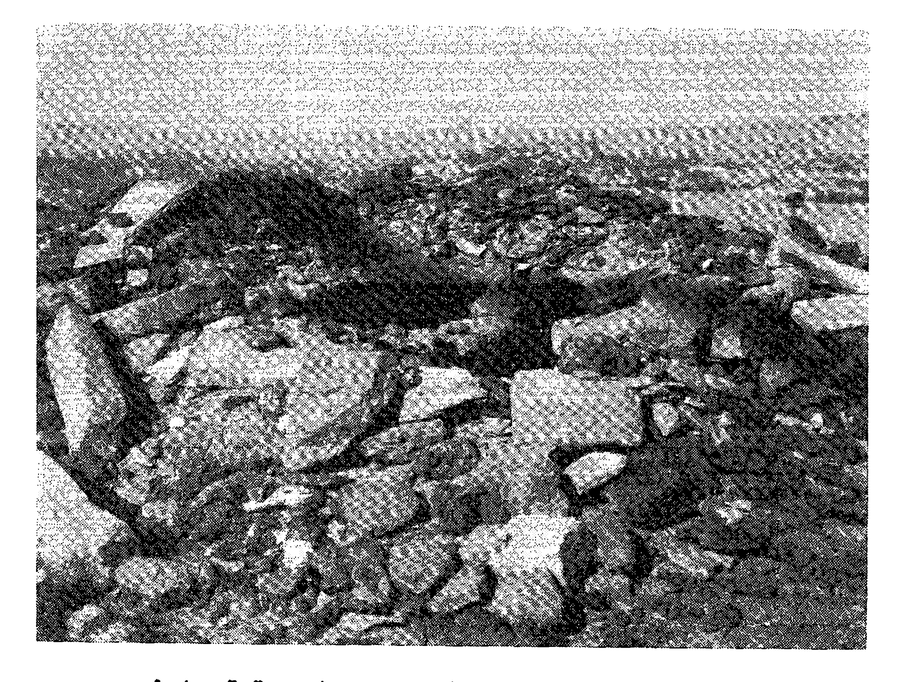
البدع : بعض المقابر النبطية من العصر الأول



ضريح مدرَّج الواجهة منحوت في الصخر
بمـــدائن صـــالح



أنصاب تذكارية رائعة تكشف عن مهارة النبطيين وثرائهم
بعضها مدرّج الواجهـــة وبعضها ذو شرفات مفـــرّجة



صورة من بقايا معبد وثني قديم للمعبود « صلم » بقمة جبل غنيم

(نقوش ثمودية)

←

نقش ثمودى تيماوى

لذباب بن حجاج من قبيلة سامع ال عبدت صلم لَتْوِىْ

نقش ثمودى نجدى

عؤا بنت رشا تود فم الحبيب

نقش ثمودى حجازى

ود فا رخّام

(نقوش لحيانية)

شاهد قبر لحيانى

١ ـ كتب هذا شيعة = أتباع
٢ ـ على إل كعمان
٣ ـ الذى قعد كله = مات
٤ ـ فياقوة ذو غبت
٥ ـ إمنعى من يحاول شراً أو عبثاً بهذا

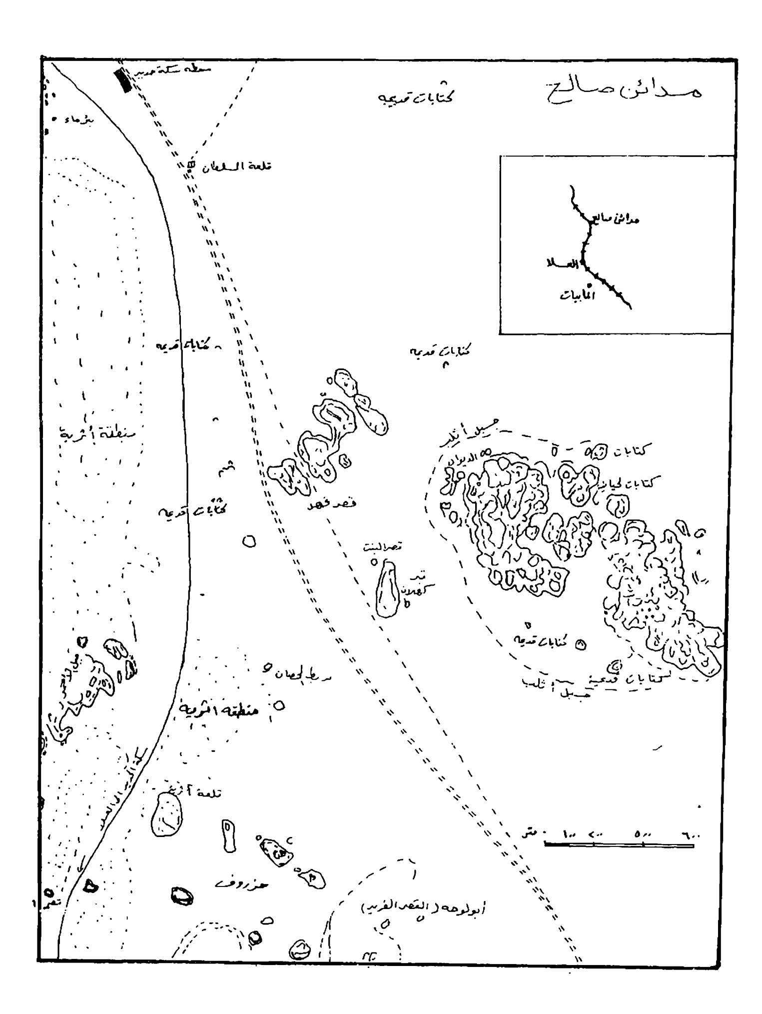
نقش لحياني داداني

بحاش من لله رتبه = أى أوقفه

والراتب حتى اليوم يقصد به فى بعض اللهجات العربيــــة وبالأخص لهجة صنعاء الوقف أو الصدقة الجارية .

نقش داداني

يارضى ، ويانهى وياعتر سم ، ساعدونى على حبى .



مدائن صالح
محطة سكة حديد
كتابات قديمة
بئر ماء
قلعة السلطان
مدائن صالح
العلا
الخابيات
كتابات قديمة
كتابات قديمة
منطقة أثرية
قصر فهد
كتابات قديمة
جبل أثلب
الديوان
كتابات
كتابات لحيانية
قصر البنت
قبر كهلان
كتابات قديمة
كتابات قديمة
جبل أثلب
مربط الحصان
منطقة أثرية
قلعة أثرية
أبولوحه (القصر الفريد)
متر ٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٥٠٠ ٦٠٠

الفهرست

تصـــــويبات

الخطـأ	الصواب	الصفحة	السطر
هلاكهم يوم الأربعاء	عقرها يوم الأربعاء	٢٨	١٤
واليــك	اليــك	٤٠	٥
أواخر	الى أواخر	٤٤	١١
بالشامح	بالشامخ	٤٦	١٢
ومنحوث	ومنحوت	٦٩	٢٠
واجهتين	على واجهتين	١٦٢	١٢
الواجهتان المرسومان	الواجهة المرسومة الأولى	١٦٢	١٣

طبع بمطابع الروضة ـ جدة
تليفون : ٢٧٩٢١ـ٣٦٧٤٩

المؤلف بقلمه ...



لقد ولدت بمكة المكرمة في شهر ذي القعدة
من عام ١٣٢٢ هـ ورحل بي الوالد رحمه الله
الى الزيمة قبل اليوم السابع من ولادتي
حيث أودعني عند القناوية أمراء هذه
الضاحية الجميلة اذ قاموا بارضاعي مع
فلذات أكبادهم وكان يرافقني في الرضاعة
من القناوية أخي محسن حازم بن مليح والسبب في ذلك
هو مرض والدتي رحمها الله - ولا زال لي اخوات من القناوية
يسكن هذه الضاحية - ولقد مكثت بالزيمة الى ما بعد السابعة
من العمر ثم جيء بي الى مكة المكرمة حيث قضيت بها عامين ما بين مدرسة
الخياط وآشية الفقيه وكان نصيبي الفشل والهروب دائما
الى الزيمة وأخيرا أدخلني المرحوم الوالد مدرسة الفلاح في غاية صفر
من عام ١٣٤٤ حيث أدخلني الى قسم حفاظ القرآن الكريم وفي غرة عام
١٣٤٧ نجحت الى الثانية الابتدائية وهكذا حتى تم التخرج في عام ١٣٥٠ هـ
ولقد قمت بالتدريس في الفلاح والتحضيرية لمدة عامين مع القيام برحلات
داخلية - وفي أوائل عام ١٣٥٢ هـ قمت برحلة الى الهند وبورما وسيلان
وسيام والفلبين واليابان وجزر الهند الشرقية ثم رجعت الى الوطن
واشتغلت بالتجارة والرحلات ثم انتدبني المرحوم الحاج محمد علي زينل مديراً لمدرسة
بازرعة بعدن فقمت برحلات الى جنوب وشرق افريقية ثم جاءت الحرب الثانية فعينت
مديرا للسعودية بمكة وأستاذاً للمرحوم الامير منصور بن عبد العزيز ثم استقلت ورحلت
ورجعت الى ما كنت عليه في السياحة والتجارة ولا زلت كذلك الى الآن